حكايات هانس كرستيان إندرسن



ترجمة

كاظم سعد الدين

الجزء الثالث

حكايات هانس اندرسن الجزء الثالث
ترجمة كاظم سعد الدين
الطبعة العربية الاولى ١٩٩١

الناشر وزارة الثقافة والاعلام دار ثقافة الاطفال
العراق - بغداد - بريد ٨ شباط ص. ب ٨٠٤١

سلسلة مكتبتنا

تصدر عن قسم النشر دار ثقافة الاطفال
المدير العام : فاروق سلوم.
سكرتير التحرير : فاروق يوسف

حكايات

هانس كرستيان اندرسن

جنة الفردوس



كان ماكان، كان في قديم الزمان ابن ملك، يملك من الكتب مالا يملك احد بعددها او بجمالها. كان بوسعه ان يقرأ عن كل شيء حدث في هذه الدنيا، ويراه ممثلاً في ابدع الصور، وان يحصل على المعلومات عن كل امة وكل بلد، غير انه لم يجد فيها كلمة واحدة عن موقع جنة الفردوس. وظل هذا الامر يشغل فكره اكثر من اي شيء. وعندما كان صغيراً، قبل ان يدخل المدرسة، حدثته جدته ان كل زهرة في جنة الفردوس لذيذة كالكيك، وان مدقاتها مليئة بالرحيق العذب

كالشراب، وان التاريخ مدون على احدى الزهور، والجغرافيا على اخرى والرياضيات على ثالثة. فما عليك الا ان تأكل الزهرة فتعرف الدرس. وكلما اكلت اكثر، زاد علمك في التاريخ والجغرافية والرياضيات. صدق ذلك كله عندما كان صغيراً، غير انه عندما كبر وازداد حكمة وعلماً ادرك بيسرٍ ان مباهج جنة الفردوس غير ذلك.

- لماذا اخذت حواء من شجرة المعرفة؟ ولماذا اكل آدم الثمرة المحرمة؟ لو كنت في مكانهما، لما حدث ذلك، ولما دخلت الخطيئة هذه الدنيا.

هذا ما قاله آنذاك، وظل يردده حتى عندما بلغ السابعة عشرة، وانشغلت افكاره بجنة الفردوس.

مضى ذات يوم الى الغابة ماشياً. خرج وحده وقد كان في ذلك منتهى بهجته ووافى المساء وتلبدت الغيوم، وانهمر المطر مدراراً كأن السماء كلها صارت بوابة خزان تدفقت مياهه بغزارة. واشتدت حلكة الظلام كما تشتد في اعمق غور من اغوار بئر. وطفق يجري فوق العشب المخضل بسلاسة حيناً، ويقع على بعض الاحجار المجردة الناتئة من الارض الصخرية، حيناً آخر. كان كل شيء يقطر ماء حتى لم يبق في النهاية من ثياب الامير المسكين خيطاً يابساً واضطر ان يصعد فوق صخور هائلة ينز الماء من طحالبها الكثيفة. واوشك على الاغماء عندما سمع همهمة غريبة ورأى امامه كهفاً كبيراً مضيئاً، تضطرم في وسطه نار تكفي ان يشوى عليها أيل. وهذا ما كان يجري بالفعل، اذ كان ايل رائع بقرونه الضخمة يخترقه سفود اسند الى قطعتين من جذع شجر تنوب، ويدار ببطء بينهما. وجلست لدى النار امرأة عجوز طويلة وقوية كأنها رجل متنكر، تلقى قطع الاخشاب في النار بين اوان وآخر.

وقالت: هيا ادخل واجلس قرب النار لكي تجف ثيابك.

فقال الامير وهو يجلس على الارض: ههنا تيار مرعد، مريع. فقالت المرأة: سيكون الامر اسوأ من هذا اذا عادت بناتي! فانت الآن في كهف الرياح وبناتي هن رياح العالم الاربع. أتفهم قولي؟.

فسألها الامير: واين هن الآن؟.

فاجابت المرأة قائلة: ليس من اليسير الاجابة على سؤال غبي، فهن يفعلن ما يشأن، ولكنهن الآن يلعبن الكرة مع الغيوم هناك في الاعالي حيث القبة العظيمة.

واشارت الى الاعلى نحو السماء.

فقال الامير: اوه، حقاً! وانك تتكلمين بفظاظة مابعدها فظاظة، ولست رقيقة مثل النساء اللائي اراهن حولي على وجه العموم.

فردت عليه بقولها: أحسب ان ليس لديهن مايقمن به غير ذلك. ولابد لي من الفظاظة والشدة اذا كان عليّ ان احفظ اولادي تحت سيطرتي، غير انني استطيع ان افعل ذلك بالرغم من كونهم صنف عنيد من الناس. أترى تلك الاكياس الاربعة المعلقة على الجدار؟ انهن يخشينها كما كنت تخشى العصا المخبوءة وراء المرآة. واقول لك اني استطيع ان اقسرهن على دخول الاكياس. فنحن لانتكلف اتباع قواعد الادب، لذلك تراهن يمكثن فيها. ولايستطعن الخروج لمزاولة اعمالهن البارعة الا وفق مشيئتي. وها هي احداهن تأتي.

ودخلت ريح الشمال ومعها عصفة قارسة وانهمر وابل من برد كبير على الارض، واجتاحت الكوخ هبة من ندف ثلجية وكانت ترتدي سروالاً وسترة من جلد دب، وقبعة تغطي اذنيها من جلد فقمة، تدلت من اطرافها خيوط جليدية، وراحت تتساقط حبات برد، واحدة اثر اخرى،

من ياخة سترتها .
وقال الامير: لاتقربي النار فوراً، فلعلك تصابين بتصقيع الاصابع وورم بشرتها .
فضحكت ريح الشمال ضحكة مدوية وقالت: التصقيع! انه بهجتي العظمى . يـالـك من مخلوق ضعيف! كيف تسنى لـك دخـول كهف الرياح! .
فاجابت الام قائلة : انه ضيفي ، واذا لم يعجبك جوابي وايضاحي ، يمكنك ان تدخلي الكيس . اتفهمين قولي؟ .
فقالت الريح : جئت من البحار المنجمدة الشمالية . وكنت قد ذهبت الى جزيرة بيرنك ـ شرق سيبريا ـ مع صيادي افيال البحر الروس . جلست عند الدفة وغفوت عندما ابحـروا من الرأس الشمـالي . وعندمـا كنت اصحو بين حين وآخر ارى طيـور النوء تحـوم حول سـاقيّ . انها طيور غريبة ، تخفق باجنحتها بخفة ورشاقة ثم تبسطها دونما حراك ، وحتى في تلك الحال تنطلق مسرعة . فاعترضت ام الرياح قائلة :
لاتطنبي فـي حديثك . أوصلت اخيراً الى جزيرة بيرنك؟ .
فاجابت ـ انها رائعـة تمام الـروعة . فيهـا ارض للرقص مسطحـة مثل القرص . ويغطي الجزيرة ثلج ، شبه ذائب ، وطحالب . وتتناثر عـظام حيتان ودببة قطبية وتبدو مثل سيقان العمالقة او اذرعها وقد علاها عفن اخضر . ويحسب المرء ان الشمس لم تطلع عليها قط . ونفخت الضباب نفخة هينة ، فاكتشفت بيتاً شيد من حطام سفينة وقد غطي بجلود الحيتان التي وضع وجهها الداخلي الى الخارج ، وكان لونها احمر واخضر ، وجلس دب قطبي حي على السطح وهو يجأر ، ومضيت الى الساحل اتفرج على اعشاش الطيور فالفيت الفراخ بلا ريش فاغرة اشداقها ، تصرخ . نفخت

في آلاف الافواه، فتعلمت كيف تغلقها وعلى مقربة منها كانت افيال البحر تتمرغ، مثل ديدان متوحشة. ولها رؤوس كرؤوس الخنازير وانياب طولها ثلاثة اقدام!.

وعلقت الام بقولها: انت راوية قصة ممتازة، يا ابنتي جعلت لعابي يسيل وانا استمع اليك.

ثم واصلت البنت حديثها: وجرت بعد ذلك حملة صيد. فغرزت الرماح في صدور افيال البحر وتدفقت الدماء الفائرة فوق الجليد مثل النافورات. ثم تذكرت دوري في الحملة، فارسلت سفائني، جبالاً من جليد هائلة، نحو الزوارق. وكلما اشتد صفير البحارة وزعيقهم، تعالى صفيري. واضطروا الى القاء افيال البحر الميتة والصناديق والامراس من الزوارق على الجليد. فنفضت عليهم ندف الثلج وجعلتهم ينجرفون جنوباً ليذوقوا المياه المالحة. ولن يعودوا مطلقاً الى جزيرة بيرنك!.

فتعجبت ام الرياح قائلة: اذن كنت ترتكبين الشرور! واجابتها: قد يخبرك غيري بما اتيت من خير. وهاهي ذي اختي ريح الغرب تحل بيننا. اني احبها اكثر من الجميع. فمنها يتضوع عبق البحر، وتأتي بالنسيم الرائع البليل معها! فسأل الامير: أهي الدبور؟.

فقالت: اجل هي الدبور، ولكنها لم تعد فتاة رقيقة كما كانت فقد ولى ذلك الزمان منذ عهد بعيد.

كانت تبدو مثل انسان الغاب المتوحش، وعلى رأسها قبعة عريضة الحافة تقي بها وجهها. وتحمل هراوة اقتطعتها من غابة اشجار الموكني ولن ينفعها غيرها.

وسألتها امها: ومن اين اتيت؟.

فاجابتها قائلة : من الغابات الرهيبة حيث تعترش النباتات الشائكة المتسلقة كالاسيجة بين الاشجار جميعاً ، وحيث تستلقي افاعي المياه على العشب الندي ، وحيث البشر لالزوم لهم ! .

ـ وماذا فعلت هناك؟

ـ تطلعت الى النهار الجبار ، ورأيته ينقض من فوق الصخور مثل غمامة من رذاذ محلقاً مع السحاب ليحمل قوس قزح . شاهدت جاموسة برية تسبح في النهر ، ولكن التيار جرفها بعيداً وراحت تعوم مع البط البري الذي يحلق عالياً عندما يبلغ منحدرات النهر السريعة ، ولكن الجاموسة تظل يحتملها الماء معه . راقني ذلك فاثرت زوبعة زعزعاً جعلت تدور في دوامة حول الاشجار العتيقة فتشذب اطرافها تشذيباً . فسألتها العجوز : أو لم تفعلي شيئاً غير هذا؟ .

فاجابتها قائلة : اتقلب في السهول واربت على ظهور الخيول البرية ، وانفض جوز الهند . عندي قصص كثير ولكن ماكل مايعلم يقال . وانت اعلم بهذا ايتها العجوز! .

ثم قبلت امها بلهفة اوشكت ان تقبلها على قفاها . فقد كانت بنتاً طائشة حقاً .

واقبلت ريح الجنوب تعتمر عمامة وتلبس عباءة بدوية فضفاضة . وقالت وهي تلقى حطباً في النار : ههنا برد رهيب . فمن اليسير ان ارى ان ريح الشمال قد وصلت قبل ما اصل .

فقالت ريح الشمال : الجو حار يكفي ان يشوى به دب قطبي . فعقبت ريح الجنوب بقولها : انت نفسك دب قطبي .

فسألتها العجوز قائلة : اتودين الدخول في الكيس؟ اجلسي على تلك الصخرة واخبرينا اين كنت؟ .

فاجابت: كنت ياامي في افريقيا اطارد الاسود مع ابناء قبائل الهوتنتوت في جنوب افريقيا. يااللعشب الذي ينمو في تلك السهول - أخضر كالزيتون! الثيتل يتراقص، والنعام يجري يسابقني، ولكنني اظل اسبقه. ومضيت الى الصحراء برمالها الصفر التي تبدو كأنها قاع البحر. صادفت قافلة، ذبحوا آخر جمالهم ابتغاء الحصول على ماء يطفئون به ظمأهم، غير انهم لم ينالوا شيئاً كثيراً. وكانت الشمس تتوهج فوقهم، والرمال تتلظى تحتهم. ولانهاية للصحراء.

وتغلغلت في الرمال الناعمة الهارية واطلقتها في دوامات ارتفعت عالياً في اعمدة عظيمة - ياالتلك الرقصة! وما عليك الا ان ترى قنوط الجمال وصاحبها، وكيف غطى التاجر رأسه بقفطانه وهوى على الارض كمن يسجد لله، ربه. ودفنوا جميعاً تحت هرم من رمال. واذا ماعصفت يوماً بتلك الرمال أسفيها، فان الشمس سوف تحيل عظامهم فتبيّض، وسيرى المسافرون ان اناساً قد سبقوهم بالمرور من هنا، وإلا فلن يصدق احد مايحصل في الصحراء. فتساءلت الام قائلة: انت اذن لم يكن منك سوى الاساءة!

هيا، ادخلي الكيس!

وقبل ان تفطن ريح الجنوب الى نفسها، اخذتها امها من خصرها وادخلتها الكيس. وطفقت تتدحرج على الارض حتى جلست عليها الام فما كان عليها الا ان تهدأ.

وقال الامير: بناتك فتيات ناشطات.

فقالت: نعم، هن كذلك حقاً، ولكني استطيع السيطرة عليهن. وها هي الرابعة قادمة.

واقبلت الصبا، وهي ريح الشرق، في ثياب اهل الصين. وسألتها

امها: أنت قادمة من تلك الاصقاع؟ حسبت انك كنت في جنة الفردوس.
فقالت الصبا: اني ذاهبة اليها غدا. وبذلك سيكون قد مر مئة عام على ذهابي اليها. وقد اقبلت تواً من الصين حيث رقصت حول البرج الخزفي حتى جلجلت جميع الاجراس: وكان الموظفون يجلدون في الشوارع فتتكسر عصي الخيزران على مناكبهم، وهم رجال تتراوح مراتبهم بين الاولى والتاسعة، وكانوا يهتفون: «حمداً كثيراً لك يا ابانا والمحسن الينا». ولكنهم لم يكونوا يعنون مايقولون. وبقيت ادق الاجراس واغني: تسنك، تسانك، تسو! فقالت الام: اراك تصخبين كثيراً بهذا الشأن. حسناً تفعلين في ذهابك غداً الى جنة الفردوس. وفي ذلك تاثير طيب في تصرفك. تذكري ان تعبي من ينبوع الحكمة، وان تحضري لي منه ملء قارورة صغيرة.
فقالت الصبا: سافعل ذلك، ولكن لم وضعتِ اختي ريح الجنوب في الكيس؛ اطلقيها، لتخبرني عن العنقاء. لأن الاميرة تود دوماً سماع الاخبار عن ذلك الطائر، عندما ازورها كل مئة عام. افتحي الكيس لتكوني اجمل الامهات، وسوف اعطيك كيسين صغيرين مليئين بورق شاي اخضر ناضر كيوم قطافه.
-حسنا، سافتح الكيس اكراماً للشاي، ومحبة لك لانك اثيرة لدي.
وفتحت الكيس وخرجت ريح الجنوب زاحفة تشعر بالمهانة امام الامير الغريب الذي رأى مالحق بها من خزي.
وقالت ريح الجنوب: اليكِ سعفة للاميرة قدمتها لي العنقاء العجوز، الوحيدة في هذه الدنيا وقد دونت عليها بمنقارها تاريخ حياتها البالغة مئة عام وتستطيع الاميرة ان تقرأها لنفسها. رأيت العنقاء ونفسها تضرم النار

في عشها وتجثم فيه وهو يحترق، مثل ارملة هندوسي. بالحسيس الاغصان الجافة، وثوران الدخان وعبق النيران! واندلعت اخيراً ألسنة اللهب واحترق الطائر واستحال رماداً، ولكن البيضة ظلت تتوهج في النار، ثم انغلقت مدوية وطار الفرخ منها محلقاً. وراح يحكم الطيور جميعاً، هي العنقاء الوحيدة في هذه الدنيا. خرقت ثقباً في السحفة، التي قدمتها لك، تحية منها الى الاميرة.

واقترحت ام الرياح قائلة: لنأكل الآن شيئاً من طعام. وجلسوا جميعاً يأكلون الأيل المشوي. كان الامير الى جانب ريح الصبا. ومالبث الاثنان ان اصبحا صديقين حميمين.

قال الامير: ارى ان تحدثيني عن الاميرة وعن موقع جنة الفردوس. ردت ريح الصبا قائلة: واها! اذا كان ذلك ماتريد الذهاب اليه فعليك ان تطير معي غداً. ولكن لابد ان اخبرك ايضاً، انه لم يصل اليها انسان منذ آدم وحواء. واظن انك تعرف عنها من كتاب القصص.

فقال الامير: طبعاً.

وواصلت حديثها: عندما طردا منها، غيضت جنة عدن تحت الارض، ولكنها ابقت دفء شمسها، واعتدال هوائها، وفتنتها الخلابة. وعاشت فيها ملكة الحوريات، وفيها ايضا جزيرة النعيم التي لايدخلها الموت ابداً، والحياة فيها مبعث بهجة وسرور. واذا اعتليت ظهري غداً، سآخذك معي، واظن اني سأتدبر امري. اما الآن فاخلد الى السكون ولاتتكلم، فاني اريد ان انام. وحينما استيقظ الامير في الصباح الباكر، دهش كثيراً عندما وجد انه كان فوق الغيوم، جالساً على ظهر ريح الصبا التي تمسك به بحرص شديد. وكان الاثنان يحلقان عالياً جداً فبدت الغابات والانهار والبحيرات مثل خارطة واسعة ملونة.

وقالت ريح الصبا: صباح الخير. بوسعك ان تنام مدة اطول، فليس في الارض المنبسطة تحتنا شيء كثير جدير بالرؤية الا اذا اردت ان تعد الكنائس، التي تشبه نقاطاً من طباشير على اللوح الاخضر. واطلق على الحقول والمروج اسم «اللوح الاخضر» اي السبورة الخضراء. وقال الامير: لم يكن من حسن الادب ان اغادر دونما كلمة وداع الى امك واخواتك.

فاجابته الصبا قائلة: للنائم عذره.

وانطلقا يطيران اسرع من ذي قبل. وبالوسع ادراك سرعتها من حفيف الاشجار وهما يمران فوق الغابات. واذا ما انطلقا فوق بحر او بحيرة ارتفعت الامواج وهبطت السفن العظيمة مثل اوزيعوم فوق الماء. وكان منظر المدن الكبيرة مسلياً عند المساء، فكلما اشتد الظلام تلألأت الانوار، هنا حينا، وهناك حيناً آخر، كما يشعل المرء قطعة ورق ويرى شرراً صغاراً مثل اطفال عائدين من المدرسة الى البيت. وصفق الامير بيديه ولكن الصبا نبهته الى ان من الحكمة التمسك بقوة والا وقع والفى نفسه معلقاً من برج كنيسة.

وكان نسر الغابة العظيمة يطير سريعاً، غير ان ريح الصبا اسرع منه. ويعدو القوزاقي على حصانه الصغير ينهب السهول نهباً، ولكن الامير يظل اسرع منه.

ونبهت ريح الصبا الامير قائلة: يمكنك الآن ان ترى الهملايا. انها اعلى جبال آسيا. وسنصل عاجلاً الى جنة الفردوس. وانحرفا باتجاه الجنوب، وصار الهواء معطراً بالتوابل والزهور وشاهدا التين والرمان ينموان برياً، وتغطي الكروم عناقيد اعناب بيض وسود. وهبط الاثنان في هذا المكان واستلقيا على العشب الطري، حيث الزهور تتراقص وتومىء برؤوسها

للريح كأنها تقول: مرحباً بعودتك . .
وسأل الامير: انحن الآن فـي جنة الفردوس؟
فاجابته الصبا قائلة: لا، طبعا، ولكننا سنكون فيها بعد قليل. هل ترى ذلك الجدار من الحجر والكهف العظيم حيث تدلت الكروم مثل ستارة كبيرة؟ سنمر فيه. تدثر بمعطفك. الشمس محرقة هنا، ولكن الجو يصبح بارداً كالثلج بعد خطوة واحدة. والطير اذا مر بذلك الكهف يكون احد جناحيه فـي حر الصيف ويكون الآخر فـي قر الشتاء.
فقال الامير: هذه اذن الطريق الى جنة الفردوس!
ودخلا الكهف، فما اشد برده! ولكن ذلك لم يدم طويلاً، اذ بسطت الصبا جناحيها وسطعا مثل لهب وهاج. ياله من كهف! جلاميد صخر، يقطر الماء منها، معلقة باشكال رائعة. وكان الكهف يضيق وينخفض احيانا فيضطران الى الزحف على ايديهما وركبهما، ثم يتسع ويعلو احياناً اخرى فكأنهما فـي الهواء الطلق. ويبدو ككنيسة الموتى، ارغن صامت ورايات قلبت حجراً.
فقال الامير: يبدو اننا نسير فـي طريق الموت الى جنة الفردوس. ولكن ريح الصبا لم تفه بكلمة، بل اشارت نحو الامام حيث يسطع نور ازرق بهي. وأضحت الصخور التي فوقهما اكثر عتمة ثم صارت فـي النهاية شفافة مثل غمامة بيضاء فـي ضوء القمر. وكان الهواء رقيقاً، عذباً كما فـي اعالي الجبال، فواحاً باريج الورد فـي الوادي.
ويجري فيها نهر رقراق كالهواء العذب، الاسماك فيه كأنها الذهب والفضة. وتتواثب اسماك الانقليس الارجوانية فـي الماء وتطلق شرارات زرقاً عند كل انعطافة، ويشوب اوراق زنبق الماء العريضة الوان قوس قزح. اما الزهور نفسها فهي كلهب برتقالي مضطرم يمدها الماء

بالغذاء كما يمد الزيت المصباح بالوهج . وجسر وطيد منحوت من المرمر بمهارة وذوق، كأنه خرز من زجاج منظومة بسلك، يفضي من فوق الماء الى جزيرة النعيم حيث تزدهر جنة الفردوس .

احتضنت الصبا الامير بذراعيها واحتملته فوق الجسر . وقد غنت الازهار والاوراق كل الاغاني القديمة الجميلة في ايام طفولته ولكن بصوت اروع مما يستطيع اي انسان ان يغنيها .

اهي اشجار نخيل ام نباتات مائية عملاقة نامية هناك؟ لم ير الامير في حياته مثل تلك الاشجار الباسقة، الوافرة الثمار . وتتدلى اروع النباتات المتسلقة في اكاليل زهر لاترى الا مموهة بالذهب والالوان على حواشي الكتب القديمة او مجدولة على الحروف الاولى في مستهل الفقرات . انه لابدع تواشج بين الطيور والزهور والنباتات الملتفة .

ووقف قريباً اليهما على العشب سرب من الطواويس باسطة ذيولها المشرقة . انها في الحقيقة تبدو كذلك ولكن عندما مسها الامير رأى انها لم تكن طيوراً بل نبات . كانت اوراقاً سعفية عريضة تشع كذيول الطواويس . وتتواثب الاسود والنمور مثل قطط رشيقة الحركة بين وشيع اي اسيجة من نباتات خضر تتضوع بعطر ازهار الزيتون . تلك اسود ونمور اليفه . وخفقت يمامة، متألقة مثل لؤلؤة بهية، بجناحيها لبدة اسد من الاسود، ووقف ظبي حذر ينود عن كثب كأنه يود المشاركة في اللعبة .

وقدمت حورية الجنة تبغي لقاءها بثياب كالشمس في اشراقها، يشع وجهها بشراً كوجه ام سعيدة تحنو بهجةً على وليدها . كانت فتية فائقة الجمال تحف بها كوكبة من الصبايا الحسان، وقد رشقت كل واحدة منهن في شعرها نجماً ساطعاً .

والتمعت عينا الاميرة بالبهجة عندما قدمت لها ريح الصبا السعفة المكتوبة من العنقاء واخذت بيد الامير وقادته الى قصرها الذي كانت جدرانه بلون انصع الخزامى فـي نور الشمس وكان السقف زهرة عظيمة مشرقة، كلما امعن الناظر فيها تأملاً بدا كأسها ابعد غوراً. وذهب الامير الى النافذة ونظر من خلال احد الالواح الزجاجيـة فرأى شجـرة المعرفـة، وعليها الحية، والى جانبها يقف آدم وحواء وسألها: الم يطردا منها؟.

فافتر ثغر الحورية ببسمة واوضحت له ان الزمان قد طبع صورة على كل لوح زجاجي، ولكن ليست من النوع الذي اعتاد الناس رؤيته. كانت الصور نابضة بالحياة وتمور الاوراق بالحركة، ويغدو الناس ويجيئون مثل انعكاسات على صفحة مرآة.

وتحول ينظر خـلال لوح آخـر فرأى حلم يعقـوب، والسلم يرتقي الى السماء، والملائكة تخفق باجنحة عظام. كل ماحدث فـي هذه الدنيا تراه حياً يتحرك على الواح هذه النافذة ولم يكن فـي وسع احد سوى الزمان ان يرسم مثل هذه الصور الرائعة. وابتسمت الحورية وقادته الى بهو فسيح منيف، جدرانه مثل رسوم وجوه شفافة، يفوق احدها الآخر فـي حسنه.

وكان ملايين الرافلين فـي النعمة السابغة باسمين مغنين. تذوب اغانيهم جميعاً فـي لحن واحد متكامل. وكانت اعلى الارواح اصغرها فتبدو اصغر من براعم الورد، ولاتزيد على رأس دبوس، فـي صورة. وتنتصب فـي وسط البهو شجرة وارفة ذات اغصان وسيمة متدلية. وبين اوراقها الخضر تفاح ذهبي كانه البرتقال. تلك هي شجرة المعرفة. التي اكل ادم وحواء من ثمرها.

وعلقت فـي كل ورقة قطرة ندى حمراء، كأن الشجرة بكت بدموع من

دماء وقالت الحورية : هلم الى الزورق حيث سنجد النشوة فوق المويجات الطويلة ، سوف يتمايل الزورق ولكنه لن يبرح مكانه ، ومع ذلك مستمر من امام عيوننا جميع اقطار الدنيا .

كان منظراً غريباً حقاً رؤية الساحل يتحرك بكامله وها هي جبال الالب الشاهقة التي تكسوها الثلوج مع اشجار التنوب الفاتحة وتعلوها الغيوم . صدح البوق كئيباً بينها ورددت جنبات وديانها اعذب اغاني الرعاة . ومالت اشجار البانيان بغصونها المتدلية فوق الزورق . وعامت على الماء اوزات سود ، وظهرت على الساحل اغرب الحيوانات والزهور وانسابت امامها هولندا الجديدة بمنظرها الخلاب وجبالها الزرق . وسمعا تراتيل الكهنة ، وشاهدا رقص البدائيين على قرع الطبول ومزامير العظام . ومرت بهما اهرام مصر شامخة الى عنان السماء ، واعمدة هاوية ، وتماثيل امهات الهول دفينة حتى منتصفها في الرمال وبعدها بزغ الشفق القطبي ساطعاً فوق قمم الشمال ، كأنه العاب نارية لايضاهيها احد . وغمرت السعادة قلب الامير بما رأى من اشياء تزيد مئة مرة على وصفنا لك .

وسألها : ايمكن ان امكث هنا دائماً ؟

فاجابته الحورية بقولها : هذا يتوقف عليك انت . فاذا لم تسمح لنفسك ، كما فعل آدم ، ان تنساق وراء المغريات لفعل ماهو محرم ، فانك يمكن ان تمكث هنا دائماً .

فعقب الامير قائلاً : لن امس التفاح على شجرة المعرفة ، اذ ان هناك آلافاً من الثمار الاخرى التي تضاهيها جمالاً . فقالت له : اختبر نفسك وان لم تقو على ذلك ، عد مع ريح الصبا التي اتت بك . انها راحلة الآن ، ولن تعود الا بعد مئة عام . وستمضي هذه السنين سراعاً في هذه الجنة كانها مئة

ساعة، ومع ذلك فانها وقت طويل للوقوع تحت تاثير الغواية والخطيئة. عندما اتركك كل مساء ساقول لك: «هيا معي» ولا بد لي ان اومىء لك، اغريك. فلا تأتِ معي لان شوقك سيزداد مع كل خطوة تخطوها. وسوف تصل البهو الذي تنمو فيه شجرة المعرفة. وسوف تراني نائمة تحت اغصانها المتدلية الفواحة بالطيب وستنحني انت فوقي ولا بد ان ابتسم لك، ولكنك اذا قبلتني في شفتي، ستغور الفردوس في الارض وتضيع منك.

وستصفر رياح القفار العاتية حولك ويسيل المطر البارد من شعرك. ولن تنال الا الحزن والشقاء.

فقال الامير: بل سامكث ههنا.

وقبلت ريح الصبا فمه وقالت له: كن قوياً اذن وسنلتقي مرة اخرى بعد مئة عام. وداعاً.

ونشرت ريح الصبا جناحيها العظيمين، واشرقا مثل شقائق النعمان في موسم الحصاد او مثل لنوار الشمال في الشتاء البارد. وداعاً، وداعاً!» همست الزهور وحلقت اللقالق والبجع في خط، كأنها اشرطة مرفرفة، تواكب ريح الصبا حتى حدود الجنة. وقالت الحورية: نبدأ الآن رقصنا وفي النهاية عندما ارقص معك، وتكون الشمس قد مالت الى المغيب، ستراني اومىء لك وادعوك: «تعال معي!» فلا تأت. وسأظل اكرر النداء كل ليلة طوال مئة عام. وكلما قاومت، ستكون اقوى، حتى لن تعود تفكر بمتابعتي. ستكون البداية في هذه الليلة فتذكر تحذيري.

واقتادته الحورية الى بهو فسيح من زنابق بيض شفافه وكانت الاسدية الصفر في كل زنبقة تشكل قيثارة ذهبية صغيرة ترجع صدى اوتار

ومزامير. وفتيات حسان، هيفاوات، رشيقات، في غلائل هفهافة تكشف مفاتنهن، يرقصن خفيفات، ويغنين عن بهجة الحياة ـ خالدات فيها ابداً ـ وعن جنة الفردوس التي ستظل دائماً في ريعان جديد.

وانحدرت الشمس الى المغيب واستحمت السماء في نور ذهبي جعل الزنابق تبدو كالورود. وارتشف الامير شراباً سائغاً قدمته له الفتيات. فانتشى كما لم ينتش من قبل. ورأى مؤخرة البهو تنفتح عن شجرة المعرفة قائمة في وهج بهر عينيه. وكانت الاغنية الآتية منها رقيقة عذبة مثل صوت امه وكأنها تقول: صغيري! ياصغيري الحبيب! ثم اومأت الحوريا له وقالت برفق: «تعال معي» فجرى اليها وقد نسي عهده، وكل شيء، في اول ليلة ابتسمت واومأت له. وتضوع العطر في الهواء شذياً

وصدحت القيثارات باعذب الانغام، وبدت ملايين الوجوه الباسمة في البهو حيث تنمو الشجرة كانها تومىء له وتغني قائلة: «لابد للمرء ان يعرف كل شيء. الانسان سيد الارض» ولم يعد ماينهمر من الشجرة دموعاً من دماء، بل بدت اليه نجوماً حمراً مشرقات.

«تعال معي، تعال معي».

سمع الهاتف يقول ذلك بصوت مرتعش. ومع كل خطوة يزداد تورد خديه، ويجري الدم سريعاً..

وقال: لابد ان اذهب، وليس في هذا خطيئة. لابد ان اراها وهي نائمة. لن افقد شيئاً ان لم اقبلها، ولن افعل هذا. ارادتي قوية.

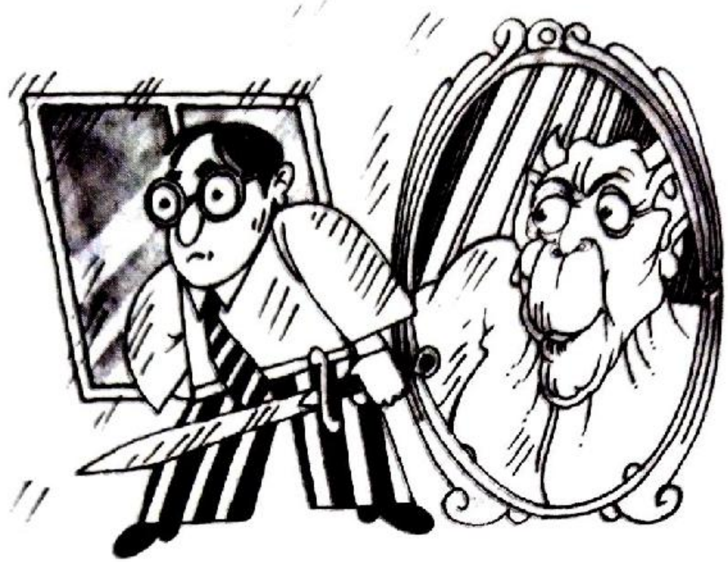
والقت الحورية ثوبها المتلألىء وردت الاغصان التي حجبتها في الحال.

وقال الامير: «لم ارتكب اثماً ولن ارتكب». ثم رد الاغصان جانباً، فالفاها نائمة، جميلة، لايضاهي جمالها الا حورية الجنة فقط. وابتسمت في احلامها، وانحنى عليها وراى الدموع تترقرق تحت اهدابها.
وهمس: اتبكين من اجلي؟ لاتبكي ايتها الحسناء. فقد ادركت الآن نعيم جنة الفردوس الذي صار يمور في دمائي وافكاري. ورحت اشعر بقوة الخلود في اعضائي الفانية. وحتى اذا باغتني الليل الابدي، فان لحظة واحدة مثل هذه جديرة بذلك. ثم قبلها ومسح الدموع بشفتيه من عينيها، ولمس بفمه شفتيها.
ثم دوى صوت كأنه الرعد، عالياً مرعباً لم يسمع له مثيلاً من قبل، وتهاوى كل شيء حوله. وغارت جنة الفردوس الزاهية وحوريتها الجميلة في الاعماق السحيقة. ورآها الامير تغور في جوف الظلام وطفقت تلتمع مثل نجمة صغيرة متلألئة. ودبت برودة الموت في اعضائه، واغلق عينيه واستلقى طويلاً كالموتى.
وهطل المطر البارد على وجهه وعصفت الريح العاتية حول راسه، ثم عادا اخيراً الى وعيه.
وتنهد قائلاً: ماذا فعلت؟ لقد اقترفت خطيئة مثل آدم ـ وكان خِطئاً عظيماً اودى بجنة الفردوس فغيضت تحت الارض.
وفتح عينيه، ورأى النجم مايزال في مكانه، ذلك النجم البعيد يتلألأ كالفردوس. انه نجم الصباح في السماء.
ونهض والفى نفسه في الغابة قرب كهف الرياح، وام الرياح جالسة الى جانبه، تبدو مغضبة ورفعت يدها.
وقالت: أفي الليلة الاولى! لقد توقعت مثل هذا الامر. لو كنت ولدي

لالقيتك فـي الكيس!.
فقال الموت: بل سيدخله فوراً!.
كان شيخاً قوياً، بيده منجل، وله جناحان عظيمان اسودان ثم واصل قوله: سيسجى فـي تابوت، ولكن بعـد حين وسـوف اوليه اهتمـامي واطلقه حيناً من الدهر يسعى فـي الارض ليكفر عن ذنبه ويصلح امره. وسازوره من حيث لا يحتسب ساعود لاضعه فـي تابوت اسود وارفعه فوق رأسي واطير به الى السماوات، حيث تتالق ايضاً جنة الفردوس مزدهرة. فان كان صالحاً تقياً، فسوف يدخلها. واذا كان فكره عـامراً بـالشرور وفؤاده مفعماً بالآثام فسيهبط الى اسفل سافلين. وساذهب مرة كل الف عام لارى ان كان سيدس فـي اعمق الاغوار ام يرفع الى حيث النجوم. النجوم المتألقة فـي اعلى عليين.

ملكة الثلج

حكاية في سبع قصص



القصة الاولــى

المراة وشظياها

نحن على وشك ان نبدا فعليكم الاصغاء. وعندما نبلغ نهاية القصة ستزدادون علما عن غول شرير هو اسوأ ابناء جنسه، بل هو في الواقع عفريت حقيقي من عفاريت الجن.

بلغ العفريت يوماً اوج سروره لانه اخترع مرآةً، لها ميزة خاصة هي ان اي شيء حسن وجميل ينعكس فيها ينكمش ويكاد يصبح لاشيء. ومن ناحية اخـرى، فان كل شيء رديء وتافه يبرز ويبدو في اسوأ احواله. وتبدو اروع المناظر الطبيعية المنعكسة فيه مثل سبانخ مسلوق، ويصبح

اجمل الناس بشعين، او ينقلبون رأساً على عقب ولا اجسام لهم. وتشوه وجوههم فلا يُعرف منها شيء. واذا كان فيها بقعة نمش واحدة فانها تبدو قد انتشرت على جميع الانف والفم. ويجد العفريت في ذلك متعة بالغة واذا ماخطرت ببال احد فكرة فانها تتحول في المرآة الى تكشيرة تثير في نفس العفريت بهجة حقيقية.

وقد نقل تلامذة مدرسة العفريت، لانه يدير مدرسة، خبراً عن وقوع معجـزة يقول انه من الممكن، لاول مرة، رؤية ما كان عليه الانسان والعالم. فصاروا يركضون بالمرآة الى كل مكان حتى لم يبق بلد او شخص لم ير المرآة المشوهة، حتى انهم ارادوا ان يطيروا بها الى السماء ليسخروا من الملائكة غير انهم كلما ارتفعوا بها زادت تكشيرتها فلم يكن بوسعهم مسكهـا، فانـزلقت اخـيراً من ايديهم الى الارض وتهشمت الى مئات الملايين والبلايين من الشظايا. فزاد بذلك ضررها. فلم يكن بعض هذه الشظايا اكبر من ذرة رمل، وراحت هذه الشظايا تتطاير في العالم وتدخل عيون الناس. واذا ما دخلت فيها فانها تلتصق بها وتشوه كل شيء تنظر اليه، او تجعلهم يرون كل مايثير الامتعاض، فقد احتفظت كل ذرة من الزجاج بقوة المرآة الكاملة نفسها. وقد دخلت بعض ذرات الزجاج في قلوب بعض الناس، وكان الامر رهيباً فقد غدا القلب مثـل قطعـة من جليد. وكـانت بعض الشـظايا كبـيرة جداً فاستعملت زجاجاً للنوافذ، ولم يكن من المستحسن النظر الى الاصدقاء خلال ذلك الزجاج. واستعملت شظايا اخرى نظارات وهي مسالة سيئة لان الناس الذين يقصدون التظاهر بالعدل يلبسون تلك النظارات.

وضحك العفريت حتى انفلقت جوانبه! فقد كان يبهجه ان يرى سوء

ما فعلت يداه، بيد ان بعض تلك الشظايا ظل عائماً يطوف حول العالم، وسترى ما حل بها.

القصة الثانية

عن صبي وصبية

في بلدة كبيرة مزدحمة بالبيوت والناس حيث لامجال للحدائق، اكتفى الناس بزهور في اصص بدلا منها. عاش في تلك المدينة طفلان استطاعا ان يتخذا حديقة تزيد قليلاً عن احد اصص الزهور. ولم يكن الصغيران اخاً واختاً، بل جارين يحب احدهما الآخر حب اخوين. وكان اهل الاثنين يعيشان في غرفتين متقابلتين تحت سطح المنزلين مباشرة. ويكاد سطح احد المنزلين يمس سطح المنزل الآخر ولايفصل بينهما سوى مرزاب ماء المطر. ولكل منهما روشن - اي نافذة ناتئة من السقف المائل - واذا ما اراد احد العبور من بيت الى آخر فما عليه الا ان يمر فوق المرزاب. وكان لدى كل عائلة صندوق كبير يزرعان فيه اعشاباً عطرية ونبتة ورد صغيرة. في كل صندوق نبتة ورد واحدة تنمو نمواً رائعاً. وحدث ان وضعوا الصندوق عبر المرزاب فالتقيا وظهر مثل جسر من زهور، وتدلت اغصان البازلاء على حافتي الصندوقين، والقت نبتتا الورد فروعاً التفت بالنافذتين. وبدا المكان مثل قوس نصر اخضر وكان الصندوقان عاليين وقد علم الصغيران انهما يجب ان لايصعدا فوقهما، ولكن كان يسمح لهما باخراج كرسييهما الصغيرين تحت نبتتي الورد ويقضيان هناك وقتهما بالعاب مسلية.

ولكن الشتاء كان يضع، بطبيعة الحال، حداً لتلك التسلية فيغطي الثلج

الشبابيك في اغلب الاحيان فيحميان قطعتي نقود نحاسية على المدفأة ويلصقانهما على الزجاج المتجمد، فيذوب الثلج مخلفاً فتحتين مدورتين يختلسان النظر منهما بعينين براقتين كل واحد من شباكه. اسم الصبي كي واسم الصبية جيردا. يمكن ان يصل احدهما الى الآخر في ايام الصيف بقفزة واحدة، غير انهما في ايام الشتاء يجب ان ينزلا السلم في احد البيتين ويصعدان الآخر. اما في الخارج فتسوق الريح الثلج او تكدسه.

وقالت الجدة العجوز: انظرا الى اسراب النحل الابيض. فسألها الصبي: «أللنحل ملكة ايضاً؟» فقد كان يعرف ان للنحل الحقيقي ملكة.

فقالت الجدة: اجل له ملكة وهي تطير حيث يحتشد السرب وهي اكبر النحل ولا تمكث فوق الارض ابداً، بل تعود الى التحليق في السماء. وتظل تطير في ليالٍ كثيرة من الشتاء تجوب الشوارع وتسترق النظر في النوافذ حيث يتجمد الثلج على زجاجها في اشكال رائعة كالزهور.
«اجل، رأينا ذلك ياجدتي... قال الصغيران وهما يصدقان قولها.
وسألت الصبية: ايمكن ان تأتي ملكة الثلج الى هنا؟.
فقال الصبي: اذا جاءت الينا ساضعها على المدفأة فتذوب ولكن الجدة مسدت شعره وقصت عليه قصصاً اخرى. وفي المساء، عندما كان «كي» الصغير في البيت قد خلع نصف ملابسه، صعد الكرسي الى جوار النافذة واسترق النظر من الثقب الصغير، فرأى ندفاً قليلة من الثلج تسقط، وقد مكثت اكبرها على حافة الصندوق. واخذت تكبر شيئاً فشيئاً حتى صارت بشكل امرأة تلبس افخر ثوب ابيض شفيف، بدا كانه صنع من ملايين الندف التي تشبه النجوم. كانت رقيقة الجمال،

ولكنها من ثلج ـ ثلج باهر، متألق. ومع ذلك فقد كانت تمور فيها الحياة وتشرق عيناها مثل نجمتين متالقتين، ولكن لااستقرار فيه ولا هدوء. واومـأت برأسهـا الى النافذة ولوحت بيدها فارتعب الصبي ووثب عن الكرسي، ثم تصور طائراً كبيراً مر امام النافذة.

وكـان اليوم التـالي صافياً وبـارداً كالصقيع، ثم اقبـل الدفـء ـ وتلاه الربيع. واشرقت الشمس، وشرعت براعم خضر بالظهور، وبنت طيور السنـونو اعشاشها، وطفق الناس يفتحون نوافذهم. واخذ الصغيران يلعبان في حديقتهما فوق السطح مرة اخرى. وتفتح الورد بهياً في ذلك الصيف. وتعلمت الطفلة انشودة فيها شيء عن الورود، راحت تغنيها للطفل الصغير الذي صار يرددها معها.

رصّع الورد وادينا الجميل

فرفعنا الشكر للرب الجليل

وتماسك الطفلان بالايدي وقبلا الورد وابتهجا بنور الشمس. مااحلى ايام الصيف وما اروع الجلوس تحت شجيرات الورد الطرية التي لاتكل من الإزهار.

كان كي وجيردا يتصفحان كتاباً عن الطيور والحيوانات ذات يوم ـ وكانت ساعة الكنيسة قد دقت الخامسة ـ عندما قال كي: اواه، شيء اصاب قلبي، وشيء دخل عيني. وطوقت الصبية رقبته. وطرف بعينه، ولكنها لم تر شيئاً.

ـ اظن انها زالت.

ولكنها لم تزل. فقد كانت احدى ذرات زجاجة المرآة، المرآة السحرية. تتذكرون تلك المرآة البشعة التي تنعكس فيها جميع الاشياء الجميلة والعظيمة تصبح تافهة وقميئة، بينما تكبر الاشياء الرديئة ويتضح كل

صدع.
مسكين «كي». دخلت في قلبه ذرة منها وسوف تحيله الى قطعة من جليد. لم يعد يشعر بها غير انها ماتزال موجودة فسألها: لماذا تبكين فذلك يجعلك تبدين قبيحة. وانا لاشيء يضيرني. ياللبشاعة!» ثم انخرط فجأة في البكاء. «في هذه الوردة دودة وتلك ملتوية.كلها ورود كريهة وكذلك الصندوقان اللذان تنمو فيهما!» وركل الصندوق فكسر وردتين.
فصاحت الصبية: «ماذا تفعل ياكي؟» وعندما رآها مرتعبة، كسر وردة اخرى. ثم دخل راكضاً من النافذة تاركا جيردا الصغيرة وحدها.
وعندما اخرجت كتاب الصور مرة اخرى قال انه لايصلح الا للاطفال الصغار جداً. وكلما كانت جدته تروي لهما القصص كان دائما يقول لها ونكن... وكان يعجبه ان يختبيء وراء كرسيها ويلبس نظاراتها ويقلدها. واجاد في ذلك فيضحك الحاضرون عليه. ومالبث ان غدا قادراً على تقليد الناس في الشارع، والسخرية من خصوصياتهم وعيوبهم. فيقول الناس: «ولكنه سيتحول في مابعد الى انسان طيب».
غير ان ذلك كله كان بسبب شظية الزجاج في قلبه، والاخرى في عينه، وقد جعله ذلك يضايق جيردا الصغيرة التي كانت مخلصة له. وصار يلعب العاباً مختلفة. وبدا كأنه اصبح اكبر عمراً. ففي احد ايام الشتاء عندما كان الثلج يتساقط بغزارة، جلب مكبرة زجاجية كبيرة. ورفع ديل معطفه الازرق وجعل نديف الثلج يسقط عليه.

وقال: «انظري ياجيردا خلال الزجاجة» فظهرت ندف الثلج مكبرة وبدت مثل زهرة بديعة او نجمة مدببة.
ثم عاد يسألها: اترين بديع تكوينها؟ انها اروع كثيراً من الزهور

الحقيقية وهي كاملة، خالية من اي عيب، سوى انها تذوب.

ثم مالبث ان ظهر بقفازيه السميكين وزلاقته على ظهره وهتف في اذن جيردا قائلاً: «نلت اذناً بالتزلج في الساحة الكبيرة حيث يلعب الاولاد الآخرون» ثم مضى عنها.

واعتادا اجراً الاولاد في الساحة الكبيرة ان يربطوا زلاقاتهم الصغيرة بالعربات الريفية ويقطعوا شوطاً طويلاً على هذا المنوال. ولم يجدوا حداً لمزاحهم في الساحة. واقبلت زلاقة كبيرة، وهم يلعبون، بيضاء اللون يلبس الجالس فيها معطفاً من الفراء الابيض وقبعة. دارت الزلاقة حول الساحة مرتين واسرع كي يربط زلاقته خلفها. ثم مضى الاثنان مسرعين في الشارع التالي. والتفت السائق واومأ الى «كي» برأسه بطريقة تنم عن اعظم الود، وكأنهما يعرف احدهما الآخر. وكلما ازمع «كي» ان يفك زلاقته عاد الشخص يومىء له، وظل «كي» حيثما كان. وخرج الاثنان من ابواب المدينة. واخذ الثلج ينهمر غزيراً فلم يعد بوسع الصبي ان يرى شبراً امامه وهما ينطلقان قُدما وفك الحبال وحاول ان يتخلص من الزلاقة الكبيرة ولكن دونما جدوى. فقد ظلت زلاقته ملتصقة بها، وظلا ينطلقان اسرع من الريح. وهتف عالياً ولم يسمعه احد، وواصلت الزلاقة انطلاقها خلال الثلج المتساقط وهي تثب بين حين وآخر كأنها تقفز اسيجة من شجيرات وتعبر الخنادق، فارتعب رعباً شديداً واراد ان يتلو بعض الابتهالات غير انه لم يتذكر غير جدول الضرب.

وطفق نديف الثلج يكبر شيئاً فشيئاً حتى بدا اخيراً مثل طيور بيض كبيرة، مالت بغتة الى احد الجوانب، فوقفت الزلاقة الكبيرة. ونهض الشخص الذي يسوقها، والثلج يغطي معطفه وقبعته كانت سيدة فارعة

منتصبه القامة، في بياض ناصع، هي ملكة الثلج نفسها.
قالت: لقد وصلنا بسرعة جيدة، غير ان البرد شديد قاتل. فادخل تحت معطفي من فراء الدب.
واخذته الى الزلاقة بجانبها ودثرته بفرائها، وشعر كأنه يغرق في ثلوج تذروها العواصف.
«اما زلت تشعر بالبرد؟» سألته وقبلته على جبينه، افٍ! انها ابرد من الثلج. وسرت القبلة حتى بلغت قلبه، الذي كان قد تجمد اكثره. وشعر كأنه يحتضر وزال الشعور بعد لحظة، ويبدو انه تحسن فلم يعد يحس بالبرد.
«زلاقتي! لاتنسي زلاقتي!» تذكر زلاقته بغتة. وقد كانت مربوطة الى احد الطيور البيض التي كانت تطير خلفهم. وقبلت ملكة الثلج «كي» مرة اخرى، فنسي كل شيء عن جيردا الصغيرة والجدة، وكل من في البيت.
وقالت له: لن اقبلك بعد هذا والا كانت قبلة الموت لك! فنظر «كي» اليها وكانت رائعة، قلما يبلغ الخيال الى وجه اجمل من وجهها. ولم تبد الآن انها من ثلج كما كانت عندما لوحت بيدها اليه وهي خارج النافذة. بدت في عينيه كاملة ولم يعد يخشاها قيد انملة وقال لها انه يجيد العمليات الحسابية الى حد الكسور وانه يعرف عدد الاميال المربعة وعدد السكان في البلد. وكانت تديم الابتسام له فحسب انه لايملك من العلم شيئاً كافياً. فرفع بصره يتملى رقعة السماء الواسعة التي صارا يرتفعان اليها رويدا رويدا وهي تطير به على سنحابة سوداء، تحملها عاصفة هوجاء، ويتناهى الى اذنهما رنين الريح كأنه اناشيد الايام الغابرة، حلق الاثنان فوق غابات وبحيرات، وفوق جزر

ومحيطـات . وطفقت الـريح الصرصر تصفر تحتهما ، والذئاب تعوي ، والابقار السود ترسل خوارها فوق الثلوج المتألقة . اما في الاعالي فقد كان القمـر يشـرق بهيـاً رائقـاً ـ وصار «كي» ينظر اليه طوال ليالي الشتاء المديدة . وفي النهار كان يغفو عند قدمي ملكة الثلج .

القصة الثالثة

«حديقة المرأة العالمة بالسحر»

ولكن كيف حال الصغيرة جيردا طوال هذا الوقت منذ ان غادر كي؟ اين يمكن ان يكـون؟ لايعـرف احـد وليس بوسعه ان يقول شيئاً عنه . وكل مايعـرفـه الاولاد انهم رأوه يربـط زلاقتـه الصغيرة الى زلاقة فارهة رائعة جرت مبتعـدة في الشـارع وخـرجت من ابواب المدينة . ولايعرف احد اين حل به المقـام ، وذرفت عليـه دمـوع غزيـرة . وبكته جيردا الصغيرة بكـاء مراً وطـويلاً . واخيراً ، تررأي الناس انه مات . فلابد انه غرق في النهر الذي يجري قرب المدينة . آه، ما اطول تلك ايام الشتاء تلك وما اشد حلكتها! .

ثم اقبل الربيع ومعه نور الشمس .

فقالت جيردا الصغيرة : لقد مات وانتهى .

فقال نور الشمس : لااظن ذلك .

فقالت لطيور السنونو: لقد مات ومضى . فردت الطيور عليها : لانظن ذلك .

وصارت جيردا الصغيرة بعد ذلك لاتظن ذلك ايضاً.

وقــالت ذات صبــاح: سالبس حذائي الاحمــر الـذي لم يره «كي» قط وسأذهب الى النهر واسأله عنه.

كان الصبــاح باكــراً. فقبلت الجـدة العجـوز التي كانت ماتزال نائمة، ولبست حذاءهـا الاحمــر. وخــرجت وحــدهــا من البــاب المؤدي الى النهــر. وسألتــه: اصحيــح انــك اخذت رفيق لعبي؟ ساعطيك حذائي الاحمر اذا اعدته لي.

وخيــل اليهــا ان المــويجــات اومأت اليهــا ايماء غريباً فخلعت حذاءها الاحمــر، وهــو اعــز ماتملك، والقتــه في النهر. فسقط قريباً من الضفة واعادته المويجات اليها. وحسبت ان النهر لم يقبل هذا القربان منها، لانه لم يأخذ «كي» الصغير وظنت انها لم تلق الحذاء بعيداً، فصعدت في زورق راسٍ بين الاحــراش، وســارت الى الطــرف الابعــد والقت الحــذاء في المــاء مرة اخــرى. غير ان الزورق لم يكن مربوطاً فجعلته يبتعــد بحــركاتها عن ضفة النهر. وشعرت به يتحرك فحاولت ان تخرج ولكن قبل ان تبلغ الطرف الآخر ابتعد الزورق اكثر من ذراع عن الضفة واسرع مبتعداً مع التيار.

ارتعبت جيــردا الصغيــرة رعبــاً شديــداً واخذت تبكي ولكن لم يسمعها سوى العصــافيــر التي لم تستطــع ان تحملهــا الى ضفة النهر، غير انها طارت معها وهي تزقزق كأنها تشجعها وتبعث البهجة في نفسها قائلة: إنّــاهــا هنــا. إنّــا معك! وانساب الزورق مع التيار مسرعاً. وقد جلست جيــردا الصغيــرة بلا حراك وهي في جواربها. وحذاؤها الاحمر الصغير عائم خلفها، غير انه لم يستطع ان يلحق بالزورق الذي جرى اسرع فاسرع.

وكـانت ضفتـا النهر رائعتين تزينهما زهور جميلة واشجار عتيقة بديعة، والاغنام والماشية ترعى متناثرة على المنحدرات، ولكن ليس ثمة انسان.

وفكرت جيردا في نفسها: لعل النهر يأخذني الى «كي».

وبعث ذلـك الاطمئنان في نفسها. فاعتدلت في جلستها وراحت تنظر ساعاتٍ الى الضفاف الخضر.

ثم وصلا حديقة كرز واسعة فيه بيت صغير له نوافذ زرق وحمر غريبة. ولـه سقف من القش. ووقف خارجـه جنـديـان من خشب اديـا التحية بالسـلاح عنـدمـا مرت بهما فنادتهما. وحسبت انهما من الاحياء. ولم يردا عليها بطبيعة الحال. وكانت قد اقتربت منهما. بعد ان دفع التيار الـزورق قريبـاً الى الشـاطيء ونـادتهمـا بهتـاف اعلى من ذي قبـل، فخـرجت امـرأة عجـوز من البيت وهي تتـوكأ على عصا معقوفة وتعتمر قبعة شمسية كبيرة رسمت عليها زهور جميلة.

فقـالت العجوز: آيتها المسكينة الصغيرة. كيف اندفع بك هذا النهر العظيم وحيدة نحو العالم الرحب، الفسيح؟

ثم دخلت الماء ومسكت الزورق بعصاها المعقوفة وجرته الى الشاطيء ودفعت الصغـيرة جيردا خارج الـزورق. وفـرحت جيردا ان تعـود الى الارض اليابسة، غير انها خشيت العجوز الغريبة قليلاً.

فقد سألتها: اخبريني من انت وكيف وصلت الى هنا؟

ولما اخبرتها بقصتها كاملة وسألتها هل رأت «كي»، قالت العجوز انها لم تره غير انها كانت تتوقع ان تراه. وعلى جيردا الا تحزن وان تأتي وتتذوق ثمار الكرز وترى ازهارها التي كانت اجمل من اي كتاب مصور. فلكل واحدة قصة تروى. ثم اخذت بيد جيردا ودخلتا بيتها الصغير، واغلقت

العجوز الباب. كانت النوافذ عالية جداً، حمراً وزرقاً وصفراً، وتلقي ضوء غريباً في الحجرة. وكان على المائدة كمية كبيرة مما لذ من «الكرز» الذي استاذنت جيردا ان تاكل منه ماتشاء. وبينما كانت تاكل، كانت العجوز تمشط لها شعرها بمشط من ذهب، فتموج شعرها في حليقات وطفق يشع كالذهب حول وجهها الجميل الذي يشبه وردة رائعة.
وقالت العجوز لها: كنت امنى نفسي طويلاً ان تكون لي بنت صغيرة مثلك. وسترين كيف ستسير امورنا معاً سيراً حسنا.
ونسيت جيردا كل شيء عن «كي» والعجوز تمشط شعرها لانها كانت ساحرة متمرسة بفنون السحر، غير انها لم تكن ساحرة سيئة. لاتلقي رقى السحر على الناس الا من اجل التسلية الخفيفة، وكانت تريد ان تستبقي جيردا معها. فخرجت الى الحديقة ولوحت بعصاها العقفاء فوق شجيرات الورد جميعاً، فغاصت كلها بورودها الجميلة في الارض السوداء دون ان تترك اثراً وراءها، لان العجوز خشيت ان تتذكر جيردا «كي» ان هي رأت الورود، فتود آنذاك ان تهرب. عندئذ اصطحبت جيردا الى الحديقة. ما اطيب العطر الفواح! فقد كان في تلك الحديقة البديعة كل زهرة تخطر بالبال في كل فصل من الفصول. ولايضاهيها في الحسن والبهاء اي كتاب مصور. وقفزت جيردا فرحاً ولعبت حتى غابت الشمس وراء اشجار الكرز السامقة. ثم وضعتها في سرير وثير باغطية من حرير بلون الورد حشيت باوراق البنفسج. نامت ورأت احلاماً جميلة مثل اي ملكة في يوم عرسها.
وفي اليوم التالي لعبت مع زهور الحديقة ومرت ايام كثيرة على هذا المنوال. وعرفت جيردا كل الزهور، ولكنها بالرغم من كثرتها كانت تحس انها تنقصها واحدة، غير انها لم تكن تعرف ماهي. وكانت ذات يوم جالسة

تتأمل قبعة العجوز الشمسية بزهورها المرسومة عليها، واجملُها جميعاً وردةً. نسيت العجوز قبعتها عندما سحرت كل الورود فاخفتها. وهذه هي نتيجة الغفلة.

وقالت جيردا: ماهذا! الاتوجد ورود هنا؟

ووثبت بين احواض الزهور وبحثت عبثاً. وسالت دموعها على الاماكن التي كانت فيها الورود. وعندما بللت القطرات الدافئة التربة، طلعت شجيرات الورد مُرة اخرى في كامل ازهارها كما كانت قبل ان تختفي.

واحتضنت جيردا الورود وقبلتها ثم عادت بها الذكرى الى ورود البيت الجميلة والى «كي» الصغير.

فقالت الصبية: اوه، ما اكثر ما تأخرت. كان ينبغي ان ابحث عن كي. الاتعلمين اين هو الآن؟ اتظنين ايتها الورود انه مات ومضى؟.

فاجابت الزهور: انه لم يمت. وقد كنا تحت الارض، كما تعلمين، وان جميع الموتى هناك ولكن كي لم يكن بينهم.

فقالت جيردا الصغيرة «اوه، شكراً لكن!» ثم ذهبت الى الزهور الاخرى ونظرت الى اكمامها وقالت: اتعلمن اين كي؟

ولكن الـزهـور كانت تقف في الشمس تحلم احـلامها الخاصة. وقد سمعت جيردا كثيراً من تلك الاحلام ولكنها لم تسمع شيئاً عن كي.

- وماذا قالت زنابق النمر؟

قالت: اتسمعين الطبل؟ يقرع دم - دم. وليس له الا نغمتان: دم - دم. تتكـرران دائما، كنحيب النساء وصراخ الواعظ وتقف المراة الهندية في ثوبها الاحمر الطويل على حطب المحرقة، واللهب يضطرم حولها وحول زوجها الميت. بيد ان المراة لاتفكر الا بالرجل الحي في الحلقة المحيطة الذي تتلظى عيناه بنار اشد من اللهب الذي يلتهم الجسم ويأتي عليه.

أيموت لهب الفؤاد في النار؟.
فقالت جيردا الصغيرة: انا لاافهم شيئاً عن ذلك.
ـ وماذا يقول اللبلاب؟.
يقول: قلعة قديمة تجثم في الاعالي فوق ممر جبلي ضيق. تغطيها نباتات اللبلاب فكادت تخفي جدرانها الحمر العتيقة، وزحفت ورقة فوق ورقة فالتفت بالشرفة حيث تقف غادة حسناء، تنحني فوق الدرابزين وتنظر نحو الدرب متلهفة. وليست الوردة على غصنها اينع منها. وليست زهور التفاح التي يحملها النسيم ارق منها حركة. ولثيابها الحرير حفيف لطيف عندما تميل، ويقول: الن يعود؟.
فتسأل جيردا: اتقصدين كي؟
فنقول: اني لااروي إلا حكايتي ـ حلمي.
فماذا قالت الزهرة الثلجية الصغيرة؟

قالت: حبل معلق بين شجرتين شد به لوح. فصار ارجوحة. جلست فيها صبيتان في ثياب كالثلج واشرطة خضر تخفق فوق قبعتيهما: ووقف اخوهما الاكبر خلفهما وقد وضع ذراعيه حول الحبلين ليستحكم، وقد حمل في احدى يديه وعاء صغيراً وفي الاخرى قصبة فخارية. وصار ينفخ فقاعات صابون. وكلما تحركت الارجوحة، طارت الفقاعات الى الاعلى في كل الوانها المتبدلة وظلت الفقاعة الاخيرة معلقة بالانبوبة والريح تميل بها والارجوحة تتحرك.وركض كلب صغير خفيف كالفقاعة. ووقف على رجليه الخلفيتين واراد ان يصعد في الارجوحة، غير انها لم تتوقف. ووقع الكلب الصغير وهو يعوي عواء غاضباً. فسخروا منه. وانفجرت الفقاعة. صورة لوح

يتأرجح وفقاعات تتطاير ـ هذه هي حكايتي ! .

احسب ان ماتـروين لي جميـل جداً غيـر انـك تتحـدثين بحـزن، ولم تذكري «كي» قط .

فماذا قالت الزهرة الياقوتية؟

.كان في قديم الزمان ثلاث اخوات جميلات، رقيقات، شفافات تلبس احداهن، رداء قرمزياً، والثانية ازرق والاخرى ابيض ناصعاً. ورقصت الاخوات الثلاث يداً بيد على ضفة البحيرة في ضوء القمر. كن انسيات ولم يكن من بنات الجان في الغابة. ولكن عطرها الفواح الذي في الهـواء سرى بهـن نحـو الغـابـة الشذية. وانسابت ثلاثة زوارق من الغـابة نحو البحيرة، واستلقين فيها. وراحت الحباحب ترفرف حولهن بمشـاعلهن الخفـاقـة. فهـل كانت الغيـد الحسـان راقـدات ام انهن ميتات؟ شذا الزهر يقول انهن جثث نافقة واجراس المساء تقرع معلنة فجيعتهن .

فقالت جيردا الصغيرة: انك تثيرين حزني. وعطرك قوي يجعلني افكر في الفتيـات الميتـات. اواه، هل مات «كي» الصغيـر حقـاً؟ وقد هبط الورد تحت الارض فننفى ذلك .

«دن، دون» رنت اجـراس الـزهـر الياقوتي «اننا لاننعى «كي» الصغير، فنحن لانعرف عنه شيئاً، بل ننشد اغنيتنا التي لانعرف سواها .

ومضت جيـردا في سبيلهـا الى الشقـائق الصفـر المتألقـة بين اوراقهـا الخضر الداكنة .

وقالت جيردا تخاطبها: انت شمس صغيرة مشرقة. فهل اخبرتني، ان كنت تعلمين، اين لي ان اجد رفيق لعبي؟

فاشـرقت الشقيقـة الصفـراء ردا على نظـرة جيـردا العجلى. اي اغنيـة

يمكن للشقائق ان تنشد؟ غير انها لن تكون عن «كي». وقالت تحدثها: اشرقت شمس الله البهية في فِناء صغير اول ايام الربيع. وتسللت اشعتها على الجدار الابيض المجاور حيث تفتحت اول زهرة صفراء في ذلك الموسم، مشرقة كالذهب الوهاج في نور الشمس. واخرجت عجوز كرسيها تنعم بدفء الشمس. وقد جاءت حفيدتها الجميلة في زيارة قصيرة، وقبلتها، فكان في قبلتها ذهب، ذهب نابع من القلب. ذهب على الشفتين، ذهب على الارض، ذهب في الاعالي، حيث اشعة الصباح الباكر! وهذه هي حكايتي.

فتنهدت جيردا قائلة: آه ياجدتي المسكينة التي اضناها الشوق الى رؤيتي وارهقها الحزن عليّ، كما فعلت من اجل «كي». ولكنني سأرجع فوراً الى البيت واعود بـ «كي» معي. فلم يعد يجديني سؤال الزهور عنه، فهي لاتعرف سوى حكاياتها ولا علم لها ينفعني.

ثم رفعت اطراف ثوب الصغير لكي تجري اسرع، غير ان زهور النرجس ربتت ساقيها وهي تثب فوقها. فتوقفت وقالت لعلك تستطيعين ان تخبريني شيئاً.

فانحنت الى الزهرة واصغت. فماذا قالت؟

حدثتها النرجسة قائلة: بوسعي ان ارى نفسي. بوسعي ان ارى نفسي، فما اطيب عطري! في نافذة العلية تلك تقف فتاة صغيرة راقصة في قليل من الثياب. تقف آنا على ساق، ثم على الاخرى، وتبدو كأنها ستطأ الدنيا تحت قدميها. انها لفي ضلال مبين. وتراها تصب الماء من ابريق على قطعة من قماش، هي صدارها الذي تمسكه في يدها، وتقول: «النظافة شيء مستحب». وعلقت ثوبها الابيض على وتد بعد ان غسلته بماء الابريق ايضا وجففته على

السطح . ثم لبسته وتلفعت بوشاح بلون الزعفران ، وقد لفته حول جيدها ، مما جعل الثوب يبدو انصع بياضاً . انظري اليها كيف تشمخ برأسها فوق ساق واحدة . وها انا ارى نفسي . إني اراها .

فقالت لها جيردا : انا لا يهمني من ذلك شيء ، فلا جدوى بحديثك عن مثل هذا .

ثم طفقت تعدو الى طرف الحديقة . وكان الباب موصداً ، غير انها عركت المزلاج الصديء فاستجاب لها . وانفتح الباب ، وراحت جيردا الصغيرة تجري حافية في هذه الدنيا الفسيحة ونظرت خلفها ثلاث مرات ، غير ان احداً لم يكن يقتفي اثرها . ثم كفت عن الجري وجلست على صخرة كبيرة . وتلفتت حولها فرأت ان الصيف قد انقضى ، وان الخريف في اخرياته . فلو كانت في الحديقة الغنّاء لما ادركت هذا لان الشمس دائمة الاشراق وزهور كل الفصول في ريعان تفتحها .

فقالت جيردا الصغيرة : آه ، لقد اهدرت وقتي ، فهاهو ، ذا الخريف . وعليّ الا اتلكأ بعد هذا .

ثم نهضت لتواصل سيرها . ولكن ما اشد ارهاقها وما اعظم آلام قدميها الصغيرتين ! وقد بدا كل شيء حولها بارداً موحشاً واصفرت اوراق الصفصافة الطويلة . وهطل الضباب الرطب على الاشجار كالمطر . فتساقطت الاوراق واحدة اثر اخرى من الشّجر ، ولم يبق سوى الخوخ البري الشائك يحمل ثمراً ، غير انه كان حامضاً يضرّس الاسنان . وبدت لها الدنيا الفسيحة مكفهرة ، كئيبة ! .

القصة الرابعة

الأمير والاميرة

واضطـرت جيـر داأن تستريح مرة اخرى. وجاء غراب كبير يحجل على الثلج امـامهـا. كان جاثمـاً ينظـر اليهـا ويهـز رأسه. وراح ينعق قائلاً: «غـاقٍ، غاقٍ! طاب نهـارك، طاب نهارك!» وهو يحييها باحسن ماعنده من تحية. وكان يقصد الرأفة بالطفلة الصغيرة، وسألها عن وجهة سيرها وحيدة في هذه الدنيا الواسعة.

وفهمت جيردا كلمة «وحيدة» وعرفت مقدار مافيها.

ثم روت للغراب قصة حياتها ومغامراتها كاملة وسألته هل رأى كي.

فاومأ الغـراب برأســه وقـوراً وقـال: لعلي رأيتـه. لعلي رأيته. فصاحت الصبيـة وهي تكـاد تختنقـة بقبـلاتها: ماذا؟ احقاً رأيته؟ فقال الغراب: رويـدك، رويـدك! اظن انـه كي غيـر انـه نسيك الان، على ما اظن، بسبب الاميرة.

فسألته جيردا: يعيش مع اميرة؟

فاجاب الغراب: اجل، استمعي. ولكن من العسير ان اتكلم بلغتك. واذا كنت تفهمين لغة الغربان، فبوسعي ان احدثك عنه بشكل افضل.

فقــالت جيـــردا: لا، اني لم اتعلمهـا، ولكن جدتي تعـرفهـا وتجيـد الحديث بها. ليتني تعلمتها!

فقـال الغـراب! لابأس في ذلك وساروي لك ماعندي على نحو حسن ماوسعني ذلك وعسى الا يكون رديئاً.

ثم روى لهـا ماسمـع قائـلاً: تعيش في هذه المملكـة، التي نحن فيها

الان، اميـرة فائقـة الـذكـاء. قرأت كل ما في العـالم من صحف ثم نسيتها، فيا لذ كائها. وكانت ذات يوم تجلس على عرشها، وليس في ذلك مايدعو الى التسلية كما يقولون. وراحت تترنم باغنية تقول:

لماذا لااتزوج، لماذا؟

ثم قالت، اجـل، لمـاذا؟ «ثم عقـدت العزم على الزواج اذا ما وجدت زوجـاً حاضـر البديهة لكل سؤال يقدم اليه. فاستدعت سيدات البلاط جميعاً، ففرحن بما سمعن عن نيتها.

وقالت قائلتهن: هذا مايعجبني. وكثيراً مافكرت بالشيء نفسه قبل هذا.

وقـال الغـراب: كل كلمـة اقولها صحيحة، لان لي حبيبة اليفة تتجول في القصر متى تشاء. وهي التي روت الحكاية لي.

كانت حبيبتـه بطبيعـة الحـال غرابـاً لان الطيـور على اشكـالهـا تقـع، والغـراب دائمـاً يختـار اليفتـه. وقال لها: خرجت الصحف على الفور مؤطـرة بالقلوب والحـرف الاول من اسم الأميرة، وقد اعلنت: ان لكل شاب وسيم ان يذهب الى القصر ويتحدث الى الاميرة. فمن يتحدث اليها بكلامٍ طيبٍ دونما كلفة ستختاره الأميرة زوجاً لها. اجل، اجل، صدقيني. فلا ريب في قولي. وتجمهر القوم راكضين محتشدين، فلم يحـالف الحـظ احـداً منهم في اليـوم الاول واليـوم الثـاني. فقد كانوا جميعـاً يحسنـون الكلام في الشارع، ولكن اذا ما دخلوا ابواب القصر ورأوا الحـرس في بدلاتهم الفضيـة، واذا ما ارتقـوا السلالم بين صفي الخدم في بزاتهم المطرزة بالذهب، فان شجاعتهم تتخلى عنهم. واذا مابلغوا بهو الاستقبال، الذي يتالق بالانوار الباهرة، وجلسوا امام الاميرة في عرشهـا، انعقـدت السنتهم، ولم يرددوا سوى كلمـاتهـا الاخيـرة.

وهذا مالا يروقها بطبيعة الحال. فتراهم كأنهم تناولوا منوماً ارسلهم في سبات عميق. ولايستعيدون وعيهم حتى اذا خرجوا الى الشارع وجدوا مايقولون. كان صفهم طويلا يمتد من ابواب المدينة حتى القصر، ذهبت بنفسي لاراهم وقد اخذ الجوع والعطش مأخذه منهم ولم يحصلوا على شيء في القصر حتى ولو كأس من ماء فاتر. ولكن العقلاء منهم جلبوا معهم شطائر لم يشاركوا من جاورهم فيها، معتقدين ان من يدخل الى الاميرة جائعاً، سيترك فرصة افضل لهم.
وسألت جيردا. ولكن كي، كي الصغير، متى جاء؟ هل كان بين الحشود؟

فقال لها الغراب: رويدك! امهليني قليلاً! فقد جئنا اليه تواً. في اليوم الثالث اقبل شخص صغير يمشي مرحاً، بلا عربة او حصان. عيناه تتلألأن مثل عينيك وله شعر طويل جميل، ولكن ثيابه رثة.
وصاحت جيردا جذلاً: «هذا كي! وجدته اذن!» وصفقت بيديها.
ثم قال الغراب: ويضع على ظهره حقيبة صغيرة.

فردت عليه جيردا قائلة: كلا، بل هي زلاقته. فقد كانت معه عندما خرج.
فقال الغراب: قد يكون الامر كذلك. فلم ادقق النظر جيداً. ولكني عرفت من حبيبتي انه عندما دخل ابواب القصر ورأى الحرس في بدلاتهم الفضية والخدم على السلالم في بزاتهم المطرزة بالذهب، لم يرتبك اي ارتباك، بل اومأ لهم برأسه وقال: «لابد ان الوقوف على السلم امر مرهق، لذا سادخل» وكانت الغرفات تتألق بالاضواء. وكان عدد لايحصى من اعضاء مجلس الشورى واصحاب السعادة يتجولون

حفـاة حاملين او اني من ذهب . وكـان ذلـك كافياً ان يبعث في النفس المهـابـة! وكـان لحـذائه ايضا صرير مخيف، ولكنه لم يضطرب ادنى اضطراب فقالت جيردا : اني واثقة انه كي! فانا اعرف انه يلبس حذاء جديـداً . وقـد سمعتـه يرسـل صريـراً في غرفة جدتي . فقال الغراب : اجـل، كان حقـاً له صريـرا! ولكن لم يثبـط همتـه شيء، فصعـد الى الأميرة مباشرة وقد كانت جالسة على جمانة كبيرة بحجم عجلة الغزل .

ياللصبي البسيط، المسكين!

وقـد اصطف حول البهـوجميع سيدات البلاط ووصيفاتهن، والحاشية واتباعهم يرافق كلاً منهم غلام . وكان يزدادون خيلاء كلما كان وقوفهم الى البـاب اقـرب . وغـلام الحـارس الـذي يلبس خفين دائمـاً ويقف بالباب كان مزهواً فلا ينظر اليه احد .

فقـالت جيـردا الصغيـرة : لابـد ان الامر مخيف! ولكن كي فاز بالاميرة على الرغم من ذلك!

فقــال الغــراب : لولم اكن غرابــاً لأخـذتهـا لنفسي بالـرغم من انني خاطب . وقـد قيـل انـه اجـاد الحـديث كمـا اجيـده عنـدما اتكلم لغة الغربان، كما اخبرتني حبيبتي . كان مثالاً للوسامة والبسالة، ثم انه لم يقدم ليخطب ود الاميرة بل لسماع حكمتها واعجب بها كما اعجبت به .

فقالت جيردا : انه كي حقاً . فهوذكي يستطيع الحساب حتى الكسور . الا تأخذني الى القصر؟ .

فقـال الغـراب : الحديث سهل ولكن كيف تدبير الامر؟ سأكلم حبيبتي الاليفة عن ذلك، واظن انها ستسدي الينا نصيحتها، ولكنني ملزم ادبياً ان اخبرك ان صبية صغيرة مثلك لن يسمح لها بالدخول .

فقالت جيردا : ولكني سادخل في الحقيقة . فاذا سمع كي اني هنا سيخرج في الحال ويصطحبني .
فقال الغراب . قفي انتظريني هنا لدى الباب الصغير. ثم هز رأسه وطار. ولم يعد الا بعد ظلام المساء . فقال : غاقٍ، غاق . انها تبعث بتحياتها اليك ، وهذا رغيف خبز صغير لك . اخذته من المطبخ حيث الخبز الوفير، واظن انك جائعة . وليس من الممكن ان تدخلي القصر فانت حافية ولن يسمح الحرس ذوو البدلات الفضية ولا الخدم ذوو البزات الذهبية لك بالدخول . ولكن لاتبكي ، سندخلك بطريقة من الطرق . فان حبيبتي تعرف سلماً خلفياً صغيراً يؤدي الى غرفة النوم ، وتعرف مكان حفظ المفتاح . ثم تسللا الى الحديقة والشارع المشجر العظيم . وعندما اطفئت انوار القصر واحداً اثر آخر، قاد الغراب جيردا الصغيرة الى الباب الخلفي الذي كان مفتوحاً قليلاً .
اوه! ما اشد خفقان قلب جيردا خوفاً ولهفةً ! فكأنها كانت مقبلة على اقتراف إثم ، ومع ذلك فانها لم تكن تبغي سوى معرفة ان كان ذلك الشخص هو «كي» حقاً . اجل ، لابد ان يكون هو، وراحت تتخيل عينيه الذكيتين وشعره الطويل . وكان بوسعها ان ترى ابتسامته وهما جالسان تحت شجرتي الورد في البيت . وفكرت في نفسها انه سيسره ان يراها ويسمع اي رحلة طويلة قطعت من اجل ان تلقاه ، ويسمع ايضا مدى حزنهم جميعاً في البيت عندما لم يعد فامتزجت البهجة بالخوف .
ووصلا السلم حيث كان مصباح صغير ينير على رف . وقد وقفت هناك حبيبته الاليفة وهي تدير رأسها وتتلفت لتنظر الى جيردا التي حيتها بانحناءة احترام كما علمتها جدتها .

وقـالت الحبيبـة : كلمني خطيبي عنـك كلامـاً ساحـراً، ايتهـا الانسـة الصغيـرة. قصـة حيـاتـك مؤثـرة للغاية! واذا تفضلت بحمل المصباح ساتقدم عليكما ونسلك طريقاً مستقيماً لانرى فيه احداً.

فقـالت جيـردا : «احسب ان احـداً يتبعنـا» وقـد تخيلت اشيـاء تمر بها وتلقي ظلالها على الجدران : خيول ذات اعراف مرسلة وقوائم رشيقة، وعلى صهواتها رجال ونساء في صيد وطرد.

فقالت حبيبة الغراب : انها اضغاث احلام. تأتي لتأخذ افكار النبيلات والنبلاء وتخرج بهم الى الصيد. وهذا شيء حسن، فسيكون بوسعك ان تشـاهـديهم بشكـل افضـل اذا ما اويت الى فراشك ولاتنسي اذا ما نلت خطوة ان تبدي روحاً تعترف بالجميل.

فقال غراب الغابة : لاحاجة بنا الى هذا القول.

ثم دخلوا البهو الاول وكانت ستائره من الحرير الوردي المطرز بالورود وباغتتهم الاحلام ولكنها مرت بهم مروراً خاطفاً فلم تستطع جيردا ان تميـزهـا. وغـدا كل بهـو اجمـل من الآخر. وفيها كل مايبهر المرء. ثم بلغوا غرفة النوم. وكان سقفها مثل نخلة عظيمة ذات سعف من البلور. وكان في وسط الغرفة سريران كأن كل واحد منهما زنبقة تدلت من ساق ذهبي كان احدهما ابيض، استلقت فيها الاميرة. والأخر احمر استلقى فيـه من جاءت جيـردا تبحث عنـه ـ كي الصغيـر! كفت احدى الاوراق القرمزية جانباً، فرأت رقبة سمراء. انه كي! ونادت باسمه عالياً وقربت المصبـاح منـه. ثم عادت الاحـلام تتـدفق في الغـرفـة على صهوات الخيل. فاستيقظ والتفت ـ لم يكن كي الصغير.

ولم يكن في الامير مايشبه كي سوى رقبته، ولكنه كان صغيراً ووسيماً. واختلست الاميـرة النظـر من سريـرهـا الابيض كالـزنبق وسألت عمـا

جرى. فبكت جيردا وروت لهما قصتها وماذا فعل الغرابان لمساعدتها فقال الامير والاميرة: «ياللصغيرة المسكينة!» واثنيا على الغرابين. وقالا انهما لم يغضبا منهما، ولكن عليهما الا يكررا ذلك مرءة اخرى. ثم نفحاهما بمكافأة.

فقالت الاميرة: اترغبان في حريتكما ام تفضلان وظيفتين دائمتين فتكونان غرابي بلاط مع مخصصات مطبخ؟

وانحنى الغرابان طالبين الوظيفتين الدائمتين، وقد فكرا بشيخوختهما وقالا ان في ذلك ضماناً للعجوزين.

ونهض الامير وسمح لجيردا ان تنام في سريره. ولم يكن بوسعه ان يفعل اكثر من ذلك. وضمت يديها الصغيرتين وراحت تفكر: «ما اطيب الناس والحيوان!» واغمضت عينيها وراحت في سبات عميق، وعادت الاحلام تطير تطير كالملائكة وهي تجر زلاقة صغيرة يجلس فيها كي، واومأ لها برأسه، ولكنه لم يكن غير حلم زال حالما استيقظت.

وفي اليوم التالي. البسوها ثياباً من حرير وقطيفة من رأسها حتى قدميها. ودعيت ان تمكث في القصر وتنعم بوقتها غير انها لم ترج الا ان تعطى عربة صغيرة وحصاناً وحذاء صغيراً لكي تخرج الى الدنيا الواسعة بحثاً عن كي.

واعطوها حذاء وقفازين وكانت ثيابها رائعة، وعندما تاهبت للخروج الفت لدى الباب عربة جديدة من الذهب الخالص. وقد زينت بشعار الامير والاميرة الذي يتألق كالنجم، ولبس الحوذي والحارس والمرافق على حصانه تيجاناً من ذهب. وساعدها الامير والاميرة في ركوب العربة وتمنيا لها السعادة. ورافقها غراب الغابة، الذي تزوج الآن،

في الاميال الثلاثة الاولى . وجلس بجانب جيردا اذ انه لم يكن يستطيع الجلوس وظهره الى الخيل . ووقفت زوجة الغراب لدى الباب ورفرفت بجناحيها . ولم تصحبهما لصداع الم بها منذ ان كانت جليسة المطبخ ـ نتيجة ـ الافراط في الاكل . وزودت العربة بالكعك المحلى والفاكهة والجوز تحت المقعد .

وهتف الامير والاميرة : وداعاً! وداعاً! «فبكت جيردا وبكى الغراب ايضاً . وودعها بعد نهاية الاميال القليلة الاولى وكان ذلك اقسى فراق ، اذ طار الى شجرة وصار يخفق بجناحيه الاسودين مادام يرى العربة التي تتألق ابهى من اي شعاع ترسله الشمس .

القصة الخامسة

اللصة الصغيرة

وساقوا العربة خلال غابة مظلمة وقد انارت الطريق وبهرت ببهائها بعض اللصوص الذين لم يستطيعوا احتمال ذلك . وصاحوا : «ذهب! ذهب! » وانقضوا عليها ومسكوا الخيول وقتلوا السائقين والحوذي والحارس ، ثم اخرجوا جيردا عنوة من العربة .

ـ انها سمينة وجميلة! وقد سمنت من اكل الجوز .

قالت ذلك لصة عجوز ذات لحية طويلة وحاجبين يتدليان على عينيها . ثم واصلت قولها : «ما اروعها! انها كالحمل السمين . وما اطيب طعمها! » قالت ذلك وهي تسحب سكينها الحادة اللامعة لمعاناً رهيباً . ولكن العجوز صرخت صرخة مدوية في اللحظة نفسها لان ابنتها الصغيرة جاءت من خلفها وعضت اذنها وتعلقت على ظهرها مثل

حيوان وحشي شرس لانظير له. فنهرتها امها قائلة: «يالك من طفلة سيئة شريرة!» ولكنها منعها من قتل جيردا وقالت اللصة الصغيرة: «ستعلب معي وتعطيني قفازيها وثوبها الجميل وتنام في فراشي». ثم عضت امها مرة اخرى وجعلتها ترقص وضحك اللصوص جميعاً وقالوا: انظروا اليها ترقص مع صغيرتها!.

وقالت اللصة الصغيرة: اريد ان اركب العربة». وكانت لها طريقتها الخاصة فقد كانت عنيدة مدللة. وركبت العربة مع جيردا التي سارت بهما فوق الاعشاب اليابسة والحصى حتى دخلت الغابة. كانت اللصة الصغيرة بكبر جيردا غير انها اقوى كثيراً فهي عريضة المنكبين داكنة البشرة، سوداء العينين يلوح فيهما شيء من الحزن.

وطوقت خصر جيردا بذراعها وقالت: لن يقتلوك مادمت غير غاضبة عليك. لابد انك اميرة!.

فقالت جيردا: لا. ثم روت لها جميع مغامراتها ومدى تعلقها بـ «كي».

ونظرت اللصة الصغيرة نظرة جد اليها واومأت برأسها وقالت: «لن يقتلوك حتى اذا غضبت عليك، بل ساقتلك بنفسي». ثم جففت دموع جيردا ودست يديها في القفازين الجميلين الناعمين الدافئين.

ثم وقفت العربة اخيراً في باحة قصر اللصوص، المتصدع الجدران من اعلاه حتى اسفله، وتتطاير الغربان والزاغ من صدوعه، وتتواثب كلاب ضخمة شرسة باعلى ماتستطيع، ويبدو كل واحد منها متأهباً لابتلاع من تراه، غير انها لم تنبح فقد كان ذلك ممنوعاً. وكانت نار هائلة تضطرم في وسط ارض حجرية لقاعة عتيقة ينبعث منها الدخان الذي يتصاعد الى السقف لكي يجد منفذاً وكان الحساء يغلي في قدر كبيرة فوق النار، وعلى السفافيد تشوى ارانب البفة وبرية.

وقالت اللصة الصغيرة: ستنامين الليلة معي ومع حيواناتي الصغيرة الاليفة.

واذا شاءت البنتان ان تاكلا او تشربا شيئاً فانهما تذهبان الى احد الاركان المفروش بالقش والبسط. وفوقهما تجثم مئة حمامة نائمة على خشبات السقف، ولكنها رفرفت باجنحتها قليلاً عندما دخلت الصغيرتان.

وقالت اللصة الصغيرة «هذه كلها لي» وهي تمسك اقرب واحدٍ اليها من رجليه وراحت تهزه حتى صار يرفرف بجناحيه، وقربته من وجه جيردا وقالت لها: قبليه، ثم اضافت قائلة وهي تشير الى بعض الاخشاب المثبتة في حفرة في اعلى الجدار: «هذه هي الوراشين - حمام البساتين. سيطير هذا السرب اذا ماترك طليقاً. وهذه هي محبوبتي القديمة». وسحبت غزال رنة من قرنه. وقد كان مربوطاً، وفي عنقه طوق نحاسي لامع. «علينا ان نبقيه قريباً والا هرب. واني اداعب رقبته كل ليلة بسكيني اللامعة، فيرتعب كثيراً». واخرجت الصبية سكيناً طويلة من ثقب في الجدار وامرتها على رقبة الغزال. فتراجع الحيوان المسكين ورفس ولكن اللصة الصغيرة ضحكت وجذبت جيردا الى الفراش معها.

وسألتها جيردا وهي خائفة: اتبقين السكين الى جانبك وانت نائمة؟ فاجابتها اللصة الصغيرة: انام وسكيني دائماً معي. فلا تعرفين ابداً ماذا يحدث لك: ولكن اخبريني الآن مرة اخرى ما اخبرتني عن كي الصغير، ولماذا خرجت في هذه الدنيا الواسعة؟.

واعادت عليها قصتها مرة اخرى. وهدل الحمام في قفصه فوقهما. اما الحمامات الاخرى فقد كانت راقدة. وطوقت اللصة الصغيرة عنق

جيـردا بذراعهـا واغفت والسكين في يدهـا الاخـرى وراحت تغـط في نومها. ولكن جيردا لم تغمض لها عين.

ولم تدرِ أتحيـا ام تمـوت وقـد جلس اللصـوص حول النـار يأكلون ويشـربـون. والعجـوز تتشقلب في الهـواء مما اثـار رعب الصبية المسكينـة. وهـدل حمـام البسـاتين قائـلاً: كو، كوا نحن رأينـا كي الصغير. وكان طير ابيض يجر زلاقته وهو يجلس في زلاقة ملكة الثلج، وهما محلقين فوق الأشجار، ونحن في اعشاشنا. ونفخت علينا نحن الصغـار، فمـات الجميع الا نحن الاثنين. كو، كوا فسالتهما جيردا: ماذا تقولان؟ اين كانت ملكة الثلج ذاهبة؟ اتعرفان اي شيء عن ذلك.

فاجابت الحمامتان: لعلها كانت ذاهبة الى لابلند حيث الثلج والجليد دائمان اسألي غزال الرنة المربوط في الاسفل. فقال غزال الرنة نعم، هنـاك جليـد وثلج، والمكان رائع. وتستطيع ان تعدو وتثب حيثما تشاء في تلك السهول المتألقة. وفيها تنصب ملكة الثلج خيمتها الصيفية، اما قصرها الدائم ففي القطب الشمالي، على جزيرة تدعى سبتسبركن.

فتنهـدت جيـردا قائلة: آه ياكي، كي الصغير! وقالت اللصة الصغيرة: اهجعي والا طعنتـك بالسكين. وفي الصبـاح اخبـرتهـا جيـردا بكل ما قالت لهـا حمـامـات البسـاتين فبدا الوقار على اللصة الصغيرة واومأت برأسها وقالت: لابأس لابأس! وسألت الغزال: اتعرف اين لابلند؟.

فاجـابهـا الغـزال وعينـاه ترقصـان: ومن يعرف افضل مني؟ فقد ولدت وترعرت هناك. واعتدت ان اتجول واثباً فوق حقول الثلج.

فقـالت اللصـة الصغيرة: استمعي. ترين ان جميع رجالنا قد خرجوا، غير ان امي ستبقى، ولكنها ستشرب عند الضحى قليلاً من تلك القنينة

الكبيرة وستغفو بعد ذلك. وعند ذلك سافعل لك شيئاً.
ثم وثبت من الفراش وركضت الى امها وجذبت لحيتها وقالت: صباح الخير يامعزتي العزيزة!
وفـركت امهـا انفهـا حتى احمّر وازرقّ وهذه هي المحبة وعندما شربت الام جرعة من القنينة واستغرقت في نومها، ذهبت اللصة الصغيرة الى غزال الـرنـة وقالت: يسرني بالغ السرور ان اداعبك بخنجري، فتكون بذلـك تسليتي. ولكن لابأس، سوف افـك رسنـك واسـاعـدك في الخـروج لكي تهـرب الى لابلنـد باسـرع ماتستطيع وتأخذ الصبية الى قصـر ملكـة الثلج حيث رفيق لعبهـا. واظنك سمعت ما قالت لي فانها تكلمت بصوت عال وانت في العموم تسترق السمع..
فقفز الغزال في الهواء فرحاً. ورفعت اللصة الصغيرة جيردا فوقه وتدبرت امـرهـا فربطتها على ظهره بعد ان اعطتها وسادة لتجلس عليها. وقالت لهـا: هاك حذاءك الفـرو اعيده اليك لان الجو بارد جداً هناك، ولكنني ساحتفـظ بقفـازك فهـو اجمـل من ان افـرط به. ومع ذلك فلن تبردي، لاني اسـاعطيـك قفـاز والـدتي اللذين يبلغان مرفقيك: فضعي يديك فيهما. وها ان يديك الآن تبدو ان كريهتين مثل يدي امي.
فذرفت جيردا دموع الفرح.
وقـالت اللصـة الصغيـرة: لااود لك ان تنشجي! ولكن ينبغي لك ان تبـدي فرحـة. هاكِ رغيفين من الخبـز ولحمـاً لئلا تهلكي جوعاً ربطت اللصـة الصغيـرة هذه الاشيـاء على ظهـر غزال الـرنـة. وفتحت الباب وحبست الكـلاب الضخمـة جميعـاً وقـالت للغزال: هيا انطلق ولتكن صغيرتي موضع، رعايتك!.

ومــدت جيردا يديهـا في القفـازين الصغيـرين الى اللصـة الصغيـرة وودعتهـا. ثم انطلق غزال الـرنـة فوق الاعشـاب والـورود البـريـة والاحـراش، واختـرق الغابة الكبيرة منطلقاً فوق المستنقعات والسهول باسرعِ مايستطيع فعوت الذئاب ونعقت الغربان، وارتعشت اضواء حمر في السماء.

فقال غزال الرنة: هذه اضواء الشمال القديمة، انظري ما ابدع وميضها!.

وانطلق اســرع من ذي قبـل، ليـلا ونهـاراً. واكلت الـرغيفين واللحم ايضاً. ثم وصلا لابلند.

القصة السادسة

المرأة اللابلندية والمرأة الفنلندية

ووقفـا لدى كوخ صغيـر عليه علائم الفقر الشديد، مال سقفه حتى بلغ الارض. وكـان بابـه واطئـاً ممـا يضطر من يريد الدخول او الخروج ان يزحف على يديـه وركبتيـه. ولم يكن فيـه احـد سوى عجـوز لابلـنـدية كانت تقلي سمكاً على مصباح من زيت الحوت. وروى لها غزال الرنة حكـايـة جيـردا، بعـد ان حدثهـا عن قصتـه اولاً، لانه يرى قصته اهم كثيراً. وكان البرد قد انهك جيردا فلم يكن بوسعها الكلام اطلاقاً.

فقـالت المـرأة الـلابلندية: ياللمسكينين: مازال امامكما طريق طويل يبلغ مئـات الاميـال حتى فنلـنـدة التي تزورهـا ملكة الثلج الآن وتشعل انـواراً زرقـاً كل ليلة ساكتب بضـع كلمات على سمكة قَدَ مجففة لاني لااملك ورقـاً، تأخـذانهـا الى المرأة الفنلندية هناك. وهي افضل مني

في ارشادكما.

وعندما تدفأت جيردا واكلت وشربت شيئاً، كتبت المرأة اللابلندية بضع كلمات على سمكة قُدّ مجففة، اعطتها اليها وطلبت اليها ان تعنى بها. ثم شدت البنت الى ظهر الغزال.

وانطلقا طائرين، وخفقت انوار الشمال الزرق الجميلة في السماء طوال الليل، ثم وصلا اخيراً الى فنلندة. وطرقا على مدخنة المرأة الفنلندية لانها لاتملك باباً ابداً.

وكانت الحرارة شديدة في الداخل بحيث تجولت المرأة في بيتها شبه عارية. كانت قميئة، شديدة القذارة. حلّت اشياء جيردا على الفور وخلعت جذاءها وقفازيها حتى لاتشعر بالحرارة الشديدة، ثم وضعت قطعة جليد على رأس غزال الرنة، وقرأت بعد ذلك ماكتب على سمكة القُد. واعادت قراءتها ثلاث مرات، ثم حفظتها عن ظهر قلب ووضعت السمكة في القدر من اجل العشاء.

فليس ثمة مايدعو الى عدم اكلها لانها لم تبذر في حياتها شيئاً واعاد غزال الرنة سرد قصته اولا ثم قصة جيردا الصغيرة وكانت العجوز الفنلندية تطرف بعينيها الحكيمتين ولم تقل شيئاً فقال غزال الرنة: انك ماهرة جداً واعرف انك تستطيعين ربط جميع الرياح في العالم بخيط قصير من القطن. فاذا ماحل ربان عقدة واحدة اتاه النسيم، واذا ماحل اثنتين هبت ريح شديدة، واذا ماحل الثالثة والرابعة، هاجت فوق رأسه عاصفة عاتية تقتلع اشجار الغابة. افلا تعطين الصبية شراباً تنال به قوة اثني عشر رجلاً؟ اجل هذا يكفي. ومضت الى رف وانزلت منه جلداً ملفوفاً، ثم بسطته، فظهرت عليه كتابة بحروف غريبة، وراحت المرأة

الفنلندية تقرأ تصبب العرق من جبينها.
والتمسها غزال الرنة ان تعطي جيردا شيئاً وراحت جيردا تنظر اليها متوسلة دامعة العينين حتى اخذت المرأة الفنلندية تطرف بعينها وانتحت بغزال الرنة في احدى الزوايا وهمست له بشيء ووضعت في الوقت نفسه قطعة جديدة من الجليد على رأسه. وقالت: لاريب ان كي مع ملكة الجليد وهو مسرور بكل شيء هناك. ويعتقد ان قصرها احسن مكان في الدنيا، ولكن ذلك بسبب شظية المرأة في قلبه وذرة الزجاج في عينه فيجب اخراجهما اولاً والا لن يعود من البشر مرة اخرى، وسوف تستبقيه ملكة الثلج تحت سلطانها.
فقال غزال الرنة: ولكن الا يمكن ان تعطي جيردا شيئاً يهبها قوة للتغلب على ذلك؟.
فقالت المرأة: ليس بوسعي ان اهبها قوة اعظم مما لديها. الا ترى مقدار عظمتها؟ الا ترى كيف صار الانسان والحيوان في خدمتها؟ وبلغت اطراف الارض بعد ان كانت حافية؟ يجب الا تخبرها بما تملك من قوة، اذ هي في قلبها، لانها طفلة حلوة بريئة. واذا لم تستطع الوصول الى ملكة الثلج نفسها، فليس بوسعنا ان نساعدها. وان حدائق الملكة على بعد ميلين من هنا. فيمكنك ان تحمل الصبية الصغيرة الى هناك. وانزلها لدى الشجيرة المنتصبة في الثلج التي يغطيها التوت الاحمر. ولاتقف لديها مثرثراً بل عد الي مسرعاً! ثم رفعت المرأة الفنلندية جيردا الى ظهر غزال الرنة الذي انطلق بها باسرع مايستطيع فصاحت جيردا: لم البس حذائي ولا قفازي!.
وما لبثت ان شعرت بالحاجة اليهما في الريح القارسة، غير ان الغزال لم

يتوقف، بل واصل الجري حتى بلغ شجرة التوت. فانزلها هناك وقبلها في فمها، وسالت دمعة كبيرة مشرقة على وجهه ثم عاد مسرعاً باقصى ماااستطاع وظلت جيردا المسكينة واقفة هناك بلا حذاء او قفاز في وسط فنلندة المحاطة بالجليد.

وانطلقت تجري باسرع ماتستطيع، وهجم عليها فوج من ندف الثلج، التي لم تسقط من السماء كما كان واضحاً في انوار الشمال الوضاءة، بل جاءت تعدو على الارض؛ وكلما اقتربت، كبرت. فتذكرت جيردا كيف كانت تبدو كبيرة غريبة الشكل تحت المكبرة؛ غير ان حجم هذه الندف هائل مرعب! كانت ندفاً حية هي حرس ملكة الثلج وتتخذ اشكالاً غريبة، فبعضها يبدو مثل شيهم (نيص) كبير، يشع، وبعضها مثل عقد من الافاعي تخرج رؤوسها واخرى مثل دبية صغار سميكة ذات شعر منتصب، ولكنها جميعا ندف حية ناصعة البياض.

ثم تلت صلاتها ورفعت دعاءها الى الله. وكان البرد شديداً بحيث تتجمد انفاسها حال خروجها من فمها، وتستطيع ان تراها مثل سحابة من دخان امامها. وتكاثفت حتى غدت ملائكة مشرقة صغاراً راحت تكبر وتكبر عندما مست الارض. وكانت كلها تلبس خوذا وتحمل تروساً ورماحاً في ايديها. وتكاثرت اعدادها، وعندما اكملت جيردا صلاتها، احاطت بها فرقة كاملة، صارت تطعن ندف الثلج برماحها، فارسلتها بدداً، وجعلت جيردا الصغيرة تمشي غير هيابة ولا وجلة.

ولمست الملائكة يديها وقدميها، فلم تعد تشعر بالبرد وانطلقت نحو قصر ملكة الثلج.

وعلينا الآن ان نرى بماذا كان كي منشغلا فهو لم يعد يفكر بجيردا قط - بعد ان صارت على مشارف القصر.

القصة السابعة

ماذا حدث فـي قصر ملكة الثلج

كانت جدران القصر مصنوعة من الثلج الذي تذروه الـرياح ونـوافذه وابوابه من الرياح القارسة. وفيه اكثر من مئة غرفة كونتها الثلوج حسب انجرافها وكانت اكبرها تمتد اميالاً كثيرة، وكلهـا تنيرهـا اقوى اضـواء الشمال. وكلها واسعة خالية، تتألق فـي برودتها الجليدية. ولكنها تخلو من اية بهجة وحتى من حفلة راقصة للدببة الصغار، عندما تعزف الفرقة الموسيقية فـي الاعالي، وتمشي الدببة القطبية على ارجلها الخلفية وتبدي مهارتها فـي المشي. وليس فيها اي نوع من انواع اللعب، ولا ثرثرة تزجي بها الوقت اناث الثعالب البيض عند ارتشاف اكواب القهوة.

وكانت حجرات ملكة الثلج كبيرة، واسعة وباردة. وتأتي انوار الشمال وتروح بانتظام دقيق بحيث يمكنك ان تعد الثواني بين مجيئها وذهـابها. وكان فـي وسط تلك الحجرات الثلجية التي لاتنتهي بحيرة منجمدة، وقد تكسر سطحها الف قطعة، غير ان كل قطعة تشبه الاخريات شبها تاماً، فشكل الكل عملاً فنياً متكاملاً. وتجلس ملكة الثلج فـي وسطها اذا ما جاءت الى البيت. وتقول انها جالسة على «مرآة العقل» وهي افضل مرآة فـي الدنيا بل هي الوحيدة. كان كي الصغير ازرق من البرد ـ لا بل يكاد يكون اسود، غير انه لايعرف ذلك، لان ملكة الثلج قد ازالت ارتعاش البرودة بقبلاتها وغدا قلبه قطعة من جليد. وراح يتجـول وهو يسحب قطعاً من الجليد الحاد المسطح، ويصنع منه جميع الاشكال والتصاميم وهو يحاول ان يبني شيئاً كما نصنع نحن فـي بيوتنا من المناضد الصغيرة فنطلق على ذلك البناء اسم «اللغز الصيني».

كانت نماذج «كي» بارعة لانها «الغاز العقل الجليدية». فهي في نظره حاذقة ذات اهمية عظمى: وذلك بسبب ذرة الزجاج في عينه، وقد صنع نماذج كثيرة تشكل كلمات، غير انه لم يستطع ايجاد طريقة صحيحة لتكوين كلمة واحدة خاصة، كلمة كان يسعى متلهفاً ! تكوينها، تلك هي «الخلود». وقد قالت له ملكة الثلج انه اذا استطاع ان يجد هذه الكلمة فانه سيكون سيد نفسه، وانها سوف تهبه الدنيا كلها وزلاقة جديدة، غير انه لم يستطع ان يكتشفها.

وقالت ملكة الثلج: «سأطير الآن الى البلد ان الدافئة. فاني اريد ان اذهب واختلس النظر الى القدور السود». وكانت تقصد بركاني اتنا وفيزوف «ويجب ان ابيضهما قليلاً ففي ذلك نفع لهما، ولليمون والاعناب ايضاً». ثم مضت طائرة.

وجلس كي وحده في هذه الحجرات الثلجية الخالية التي تمتد اميالاً كثيرة. وحدق في قطعة الجليدية وراح يفكر ويتأمل، حتى انهار في داخله شيء. وجلس متخشباً لاحراك به. ويظن الناظر اليه انه قد تجمد حتى الموت.

ثم دخلت جيردا الصغيرة القصر من احد ابوابه العظيمة التي تعصف فيها ريح قارسة. وتلت صلاة المساء فخمدت الريح كأنها هدهدتها لتنام . ثم تقدمت ودخلت البهو الخالي الكبير. فرأت كي وعرفته على الفور. والقت ذراعيها وطوقت عنقه، وضمته اليها بقوة وصاحت: كي، هل وجدتك ياكي الصغير اخيراً؟

غير انه ظل جالساً، جامداً من البرد.

ثم ذرفت جيردا الصغيرة دمعاً سخيناً سقط على صدره ونفذ الى قلبه، فدفىء الثلج وذابت قطعة المرآة الصغيرة التي فيه. ونظر اليها وكانت تنشد.

رصّع الورد وادينا الجميل
فرفعنا الشكر للرب الجليل.

ثم انخرط كي باكيا حتى غسلت الدموع ذرة الزجاج من عينه. وعرفها فهتف فرحاً: «جيردا! عزيزتي جيردا الصغيرة! اين كنت كل هذه المدة الطويلة؟ واين كنت انا؟» وتلفت حوله وقال: ما ابرد هذا المكان! وما اقفره واوسعه!

وظل متمسكا بجيردا التي كانت تضحك وتبكي من شدة فرحها. ومن فرط سعادتهما الغامرة راحت حتى قطع الجليد ترقص من حولهما فرحاً، وعندما هدأت، استقرت في المكان الذي اخبرت ملكة الثلج كي بوجوب اكتشافه، اذا كان يبغي ان يكون سيد نفسه ويمتلك الدنيا وزلاقة جديدة وقبلت جيردا خديه اللذين اصبحا ورديين وقبلت عينيه اللتين اشرقتا كعينيها، وقبلت يديه وقدميه فعادت اليه حيويته وقوته وقد تأتي ملكة الثلج متى تشاء فتجد مرسوم حريته قد كتب بحروف مشرقة من جليد.

ومسك الواحد بيد صاحبه وغادرا القصر الكبير. وتحدثا عن الجدة والورود فوق السطح. وكانت الريح تهدأ اينما يذهبان وتطل الشمس من بين الغيوم وعندما بلغا شجيرة التوت الاحمر، وجدا غزال الرنة بانتظارهما، وقد جلب معه غزالة فتية مليئة الضرع. فشرب الطفلان حليبها الدافىء وقبلاها في فمها. ثم حمل كي وجيردا الى المرأة الفنلندية اولاً حيث استدفأوا في كوخها وتلقوا التوجيهات عن الرحلة الى الوطن.

ثم ذهبوا الى المرأة اللايلندية التي صنعت لهما ثياباً جديدة واعدت لهما زلاقتها. واخذ الغزالان يجريان الى جانبها حتى حدود بلدهما، حيث تفتحت البراعم الخضر، وودعا غزالي الرنة والمرأة اللايلندية. وسمعا الطيور الصغيرة تغرد وشاهدا البراعم في الغابة، حيث جاءت صبية تمتطي جواداً مطهماً، عرفته جيردا لانه كان يسحب العربة الذهبية.

وكانت تضع قبعة قرمزية على رأسها ومسدسين في حزامها. انها اللصة الصغيرة التي ضجرت من المكوث في البيت. فركبت جوادها واتجهت

نحو الشمال لتستمع به قبل ان تتحول الى جزء آخر من العالم. وعرفتهما في الحال، سرت بها جيردا سروراً عظيماً.
وقالت الفارسة تخاطب كي: ما انجبك من شاب يخرج ليضرب في الارض! اود ان اعرف ان كنت تستحق من يسعى اليك راكضاً حتى نهاية الدنيا.
ولكن جيردا ربتت خدها وسألتها عن الامير والاميرة. فقالت اللصة الصغيرة: انهما يرحلان في بلاد اجنبية.
وسألتها جيردا: والغراب؟
فاجابتها: اواه، مات الغراب. واضحت حبيبته الاليفة ارملة تخرج وقد لفت قطعة من الصوف الاسود حول ساقها وحالها يرثى لها رثاء مراً.
ولكن لحدثيني ماذا فعلت واين وجدته؟.
وروت لها جيردا وكي كل شيء.

فقالت: عظيم، بديع، لطيف! كل شيء على مايرام، اخيراً! وصافحتهما وعاهدتهما ان تؤدي الزيارة لهما كلما مرت بمدينتهما. ثم انطلقت على جوادها تجوب الدنيا الواسعة، ومشى كي وجيردا يدا بيد واينما حلا وجدا الربيع البهيج والزهور الناضرة. وما لبثا ان عرفا المدينة الكبيرة التي كانا يعيشان فيها بابراجها السامقة التي ماتزال اجراسها تدق الحانها المرحة. واتجها الى باب الجدة مباشرة وارتقيا السلم ودخلا غرفتها

وكان كل شيء كما تركاه، فالفيا الساعة العتيقة نتكنك في ركنها المعهود وعقربيها يشيران الى الوقت. ولما دخلا من الباب الى الغرفة، ادركا انهما قد كبرا. وان الورود قد التفت بزهورها حول النافذة المفتوحة، ومازال الكرسيان الصغيران في مكانيهما. وجلس كي

وجيـردا عليهمـا ومـايـزال يمسك احدهما بيد الآخر؛ وقد زالت عظمة البـرد الخـاويـة لقصـر ملكـة الثلج من ذاكـرتهما كما يزول الكابوس.

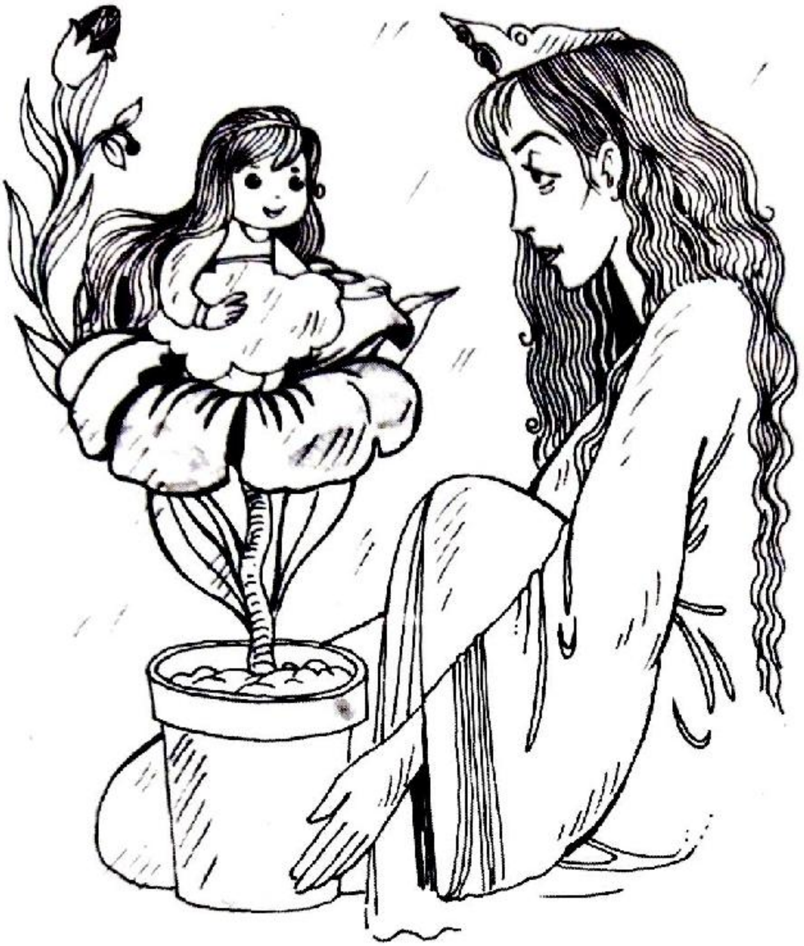
وجلست الجـدة في شمس الله الـدافئـة تقرأ الكتاب: «ان لم تصبحوا كالصغار فلن تدخلوا ملكوت السماء».

ونظر كل من كي وجيردا في عيني صاحبه، ثم ادركا معنى الترتيلة القديمة:

رصع الورد وادينا الجميل
فرفعنا الشكر للرب الجليل

وجلس الاثنـان هنـاك، كبيرين، ولكنهما مايزالان طفلين، طفلين في القلب. وقد حل الصيف ـ صيف دافيء جميل.

اللصة الصغيرة



كان في قديم الزمان امرأة، تمنت كثيراً ان ترزق طفلاً، غير انها لم تستطع تحقيق امنيتها. فذهبت اخيراً الى جنية وقالت لها: «اتمنى كثيراً ان يكون لدي طفل. فهل لك ان تخبريني اين احصل عليه؟» فقالت الجنية: هاك حبة الشعير هذه وهي تختلف عن النوع الذي ينمو في الحقول والنوع الذي يأكله الدجاج. ازرعيها في وعاء زهور وانظري ماذا يحدث.

فشكرتها المرأة واعطتها درهماً ثمن حبة الشعير. ثم ذهبت الى البيت

وزرعتها . ونمت على الفور زهرة كبيرة رائعة ، اشبه بالزنبقة فـي مظهرها ، ولكن اوراقها مضمومة بقوة كأنها ماتزال برعمة . فقالت المرأة : «يالها من زهرة جميلة !» وقبلت الاوراق الحمر والذهبية . وما ان فعلت ذلك حتى تفتحت الزهرة ورأت المرأة انها زنبقة حقيقية تجلس فـي داخلها ، على الاسدية المخملية ، فتاة صغيرة ، رقيقة ، رشيقة ، حلوة الشمائل . لايكاد طولها يزيد على نصف ابهام اليد ، اي دقيقة لانها بالغة الصغر . يصلح قشر جوزة اذا جلي بشكل انيق ان يكون مهداً لها . يتكون فراشهـا من اوراق بنفسج زرق ولحافها من ورقة ورد . تمضي الليل هناك نائمة ، بيد انها فـي النهار تلهو على منضدة وضعت المرأة فوقها وعاء مليئاً بالماء . تحيط بالوعاء زهور غمست سيقانها فـي الماء ، وتطفو على الماء ورقة من زهر الزنبق كبيرة اتخذتها «الصغيرة» زورقاً ، تجلس فيه وتجذف من جانب الى آخر بمجذافين من شعر حصان ابيض . انه حقاً لمنظر جذاب . كان بوسع الصغيرة ان تشدو بغناء حلو رخيم ، لم يسمع احد مثل غنائها من قبل .

بينما كانت ذات ليلة مستلقية فـي فراشها الوثير ، واذا بضفدعـة كبيرة قبيحة مبللة تتسلل من زجاجة شباك مكسورة ، وتقفز على المنضدة حيث كانت «الصغيرة» مستلقيـه تغفو تحت لحـافها من ورق الـورد . فقالت الضفدعة : ـ «ما اجملها من زوجة صغيرة تصلح لولدي !» ورفعت قشرة الجوز التي كانت تنام فيها «الصغيرة» وقفزت بها من الشباك الى الحديقة وكانت الضفدعة تعيش لدى حافة جدول عريض تشبه الهور مـع ابنها الذي كان اقبح حتى من امه ! ولما رأى البنت الصغيرة الجميلة فـي فراشها البـديع ، لم يسعـه الا ان يقول : «نق ، نق ، نق !» فقـالت الضفـدعـة العجوز : لاتتكلم بصوت عال والا سوف تستيقظ ، وتهرب لانها خفيفة

مثل ريشة بجعة سنضعها على احدى وريقات نرجس الماء فـي الجدول. وستكون الوريقة كالجزيرة بالنسبة اليها ـ فهي خفيفة وصغيرة ـ وعند ذلك لن تستطيع ان تهرب. وفـي هذه الحال، سنسرع ونهيء الحجرة الخاصة تحت نباتات الهور حيث ستعيشان عندما تتزوجان.

بعيداً فـي الجدول كانت تنمو مجموعة من زنابق الماء، ذات اوراق خضر عريضة، تبدو طافية فوق سطح الماء. كانت اوسع هذه الاوراق ابعد من الاخريات سبحت الضفدعة العجوز اليها مع قشرة الجوز حيث كانت «الصغيرة» ماتـزال راقدة. استيقـظت المخلوقة الصغيـرة مبكرة جـداً وطفقت تبكي بكاء مراً، عندما ألفت نفسها فـي ذلك المكان. لم تر غير الماء حول الورقة الخضراء الكبيرة، ولا سبيل الى الوصول الى البر. وفـي ذلك الوقت كانت الضفدعة العجوز منشغلة تحت الماء فـي تزيين حجرتها بنبات الاسل والزهور الصفر البرية، تجعلها تبدو رائعة من اجل زوجة ابيها، ثم جاءت تسبح مع ابنها القبيح الى الورقة حيث وضعت الصغيرة المسكينة. ارادت ان تحضر السرير البديع لكي تضعه فـي حجرة العرس ليكون معداً لها.

وانحنت لها الضفدعـة العجوز فـي المـاء وقالت: هـذا ابني، سيكون زوجك وستعيشان سعيدين معاً فـي الهور على ضفة الجدول.

ولم يكن بوسع ابنها الا ان يقول: «نق، نق، نق». واخذ الضفدعـان السرير الصغير البديع، وسبحا به مبتعدين، وتركا «الصغيرة» وحدها على الورقة الخضراء، جالسة تبكي. لم تتحمل فكرة العيش مع الضفدعة العجوز واتخاذ ابنها القبيح زوجاً. ورأت الاسماك الصغيرة السابحة فـي الماء تحتها الضفدعة وسمعن ما قالت، فرفعن رؤوسهن فوق الماء ليلقين

نظرة الى الفتاة الصغيرة. وما ان وقعت انظارهن عليها حتى الفينها جميلة في غاية الجمال. واصابهن الحزن من فكرة ذهاب الصغيرة وعيشها مع الضفدعتين القبيحتين. «لا، لن يتم هذا ابداً!» واجتمعن في الماء معاً حول الغصن الاخضر الذي يحمل الورقة التي تقف عليها الفتاة الصغيرة، وقضمن الساق قرب الجذر. فطفت الورقة مع التيار حاملة الصغيرة بعيداً، دون ان تصل اليها يد احد على البر. وابحرت الصغيرة مارةً بمدن كثيرة، فرأتها الطيور في الاشجار وغردت لها: «ما احلى هذه المخلوقة الصغيرة!» وحملتها الورقة ابعد فابعد حتى اخذتها الى بلاد اخرى. ورفرفت حولها فراشة بيضاء رشيقة مدة طويلة ثم حطت على الورقة. ورحبت «الصغيرة»، وفرحت بقدومها لان الضفدعة لن تستطيع بعد الآن ان تنال منها، وكانت البلاد التي مرت خلالها جميلة، وقد اشرقت الشمس على النهر حتى تلألأ مثل ماء الذهب. وخلعت وشاحها وربطت طرفه بالفراشة وشدت الطرف الآخر بالورقة التي راحت تنساب اسرع من ذي قبل وهي تحمل «الصغيرة» معها. ومالبثت خنفسة كبيرة ان طارت قريباً منها، وما ان ابصرتها حتى امسكت بها من خصرها النحيل بمخالبها وطارت بها وحطت على شجرة. وواصلت الورقة سيرها طافية على الجدول والفراشة تطير معها، لانها كانت مربوطة اليها ولايسعها الخلاص.

ما اشد ذعر «الصغيرة» عندما حلقت بها الخنفسة نحو الشجرة! ولكنها حزنت اعظم الحزن على الفراشة الجميلة البيضاء التي ربطتها بالورقة، لانها ستموت من الجوع ان لم تستطع ان تحرر نفسها، بيد ان الخنفسة لم تكلف نفسها عناء القلق بالمسألة قط، بل جلست بجانبها على ورقة

خضراء عريضة واعطتها شيئاً من عسل الزهور لتأكل واثنت على جمالها الرائع، بالرغم من انها لاتشبه الخنفساء. بعد قليل، جاءت الخنافس التي تعيش في الشجرة لزيارتها. وحدقن في «الصغيرة»، ثم رفعت الخنافس الفتية مجساتهن وقلن: ليس لها الا ساقان ما اقبح شكلها!.

وقالت اخرى: ليس لها مجسات.

وقالت جميع الخنافس: خصرها نحيل جداً، فهي تشبه الانسان. ماأقبحها!» بالرغم من ان الصغيرة كانت جميلة جداً. وصدق الخنفس الذي هرب بها اقوال الاخريات عندما قلن انها قبيحة، وقطع علاقته بها وقال لها انها يمكن ان تذهب اينما تشاء. ثم طار بها من الشجرة ووضعها على اقحوانة. وبكت لانها قبيحة جداً بحيث لم تزجِ حتى الخنافس شيئاً من الثناء على جمالها. ولكنها في الحقيقة اجمل مخلوق يمكن تصوره، وكانت رقيقة لطيفة مثل ورقة ورد.

عاشت الصغيرة المسكينة طوال الصيف وحيدة في الغابة الواسعة. ونسجت لنفسها سريراً من اوراق العشب، وعلقته تحت ورقة عريضة لكي تحمى نفسها من المطر. وكانت ترتشف العسل من الازهار وتشرب قطر الندى من الاوراق كل صباح. وهكذا مر الصيف والخريف، ثم اقبل الشتاء ـ الشتاء الطويل البارد. فطارت جميع الطيور التي كانت تغرد لها اعذب الالحان، وذبلت الاشجار وذوت الزهور. والتفتّ ورقة البرسيم التي كانت تعيش تحتها وتغضنت، ولم يبق منها شيء سوى سويق ذاوٍ. احست ببرد رهيب، لان ملابسها كانت ممزقة وكانت هي نفسها رقيقة واهنة، كادت تتجمد حتى الموت. وبدأ الثلج يتساقط ايضاً، وكانت ندف الثلج التي تتساقط عليها مثل تراب ملء مجرفة يقع على الفرد منا لاننا طوال القامة بينما

هي لم تكن تتجاوز العقدة التفت بورقة جافة. ولكنها تكسرت في وسطها ولم تستطع ان تجلب لها الدفء، فارتعشت من البرد.
كان قرب الغابة التي تعيش فيها حقل فسيح من الحبوب غير ان الحبوب حصدت منذ مدة طويلة، ولم يبق سوى جذامات يابسة عارية تبرز من الارض المنجمدة. وكان المشي فيها بالنسبة اليها كالصراع في شق الطريق في غابة واسعة. آه، ما اشد ما ارتعشت من البرد! بلغت اخيراً باب فأرة من فئران الحقول، يؤدي الى وكرها الصغير تحت الجذامات، وتسكن فيه مستمتعة بالدعة والدفء، ولديها حجرة مليئة بالحبوب، ومطبخ وحجرة طعام جميلة. وقفت «الصغيرة» المسكينة امام الباب مثل شحاذة صغيرة، وطلبت حفنة شعير، لانها لم تأكل لقمة واحدة منذ يومين.
فقالت فأرة الحقول التي كانت عجوزاً طيبة حقاً: «تفضلي ايتها المخلوقة الصغيرة المسكينة الى بيتي الدافيء وتغدي معي» وسرت كثيراً «بالصغيرة» فقالت لها: «انت على الرحب والسعة. ولك ان تمكثي معي طوال الشتاء اذا شئت ذلك، ولكن عليك ان تنظفي الحجرات وترتبيها وتحكي لي قصصاً لانني احب سماعها كثيراً» وفعلت «الصغيرة» ماطلبت منها فارة الحقل، ووجدت نفسها في راحة تامة.
وحدثتها فأرة الحقل ذات يوم قائلة: سيحل علينا ضيف في القريب العاجل. هو جاري، يزورني مرة واحدة في الاسبوع، وحاله افضل من حالي. لديه غرف فسيحة، ويلبس معطفاً جميلاً من المخمل الاسود.
لو انك تتخذينه زوجاً، فانه سينهض باعباء إعالتك خير نهوض حقاً، غير انه اعمى، فعليك ان تحكي له بعضاً من اجمل حكاياتك.
لم تكن الصغيرة تشعر بادنى رغبة في هذا الجار لانه كان خُلداً وجاء،

على كل حال، يؤدي الزيارة، في معطفه المخملي الاسود.
وقالت فأرة الحقل: «انه ثري جداً ومتعلم، وبيته اوسع من بيتي عشرين مرة».

كان ثرياً ومتعلماً بلا ريب، بيد انه كان يتحدث عن الشمس والزهور الجميلة باستخفاف لانه لم يرَ اياً منها. واضطرت «الصغيرة» ان تغني له: طيري يادعسوقة، طيري الى بيتك» وكثيراً من الاغاني الجميلة الاخرى. وعشقها الخلد بسبب ما تتمتع به من صوت جميل، غير انه لم يقل شيئاً لانه كان شديد الحذر. وكان الخلد، قد حفر، قبل وقت قصير، نفقاً تحت الارض، يؤدي من منزله الى مسكن فأرة الحقل، وسمح لها ان تتمشى فيه مع «الصغيرة» متى شاءت، ولكنه نبههما ان لاترتعبا لدى رؤية طائر ميت ملقى في النفق، طائر كامل بمنقاره وريشه، ولم يكن قد مضى على موته وقت طويل كان مسجى في النفق الذي صنعه الخلد.

وتناول الخلد في فمه قطعة خشب تتألق بالفسفور وتومض كالنار في الظلام. ثم سار امامهما لينير لهما النفق المظلم الطويل. وعندما بلغوا المكان الذي القي فيه الطائر الميت، دفع الخُلد السقف بانفه العريض فانهار التراب عن فتحة واسعة، وانهمر ضوء النهار في النفق. وظهر على ارضه سنونو ميت، وقد اسبل جناحيه الجميلين لصق جنبيه، واخفى رجليه وراسه تحت ريشه. وبدا جلياً ان الطائر مات من البرد، فحزنت «الصغيرة» حزناً شديداً لدى رؤيته، لانها كانت تحب الطيور الصغيرة حباً جماً فطالما غنت لها وغردت اعذب الالحان طوال الصيف. ولكن الخلد نحاه جانباً بقوائمه العقفاء وقال: لن يغرد بعد الآن. ماأشد بؤس المرء ان يُولد طائراً صغيراً. واني شاكر ان احداً من اطفالي لن يكون

طائراً، لايسعه ان يفعل شيئاً سوى ان يصرخ: «تويت، تويت» ويموت جوعاً اثناء الشتاء.

فقالت فأرة الحقل: اجل، احسنت في قولك هذا ايها الخلد الذكي. فما نفع تغريده، لانه اذا اقبل الشتاء سيهلك جوعاً او ينجمد حتى الموت: ولكني اعتقد بالرغم من كل شيء ان الطيور كريمة المحتد.

ولم تقل «الصغيرة» شيئاً، غير انها عندما التفت الاثنان وادارا ظهريهما الى الطائر، انحنت ومسدت الريش الناعم الذي يغطي راسه، وقبلت الجفنين المطبقين وقالت: لعله الطائر الذي شدا لي باحلى الاغاريد في الصيف. ما اكثر ما ابهجتني ايها الطائر الجميل المحبوب!.

ثم سد الخلد الفتحة التي اشرق من خلالها ضوء النهار، واصطحب السيدتين الى بيته. ولكن «الصغيرة» لم تستطع النوم اثناء الليل فنهضت من الفراش، ونسجت بساطاً جميلاً واسعاً من القش، ثم حملته الى الطائر الميت وغطته به مع بعض من نثار الزهور التي وجدتها في حجرة فأرة الحقل. كان ذلك ناعماً كالصوف، نثرته على جانبي الطائر لكي يرقد وينعم بالدفء على الارض الباردة. وقالت: «وداعاً ايها الطائر الصغير الجميل، وداعاً. وشكراً لك على اغاريدك البهيجة اثناء الصيف، عندما كانت الاشجار جميعاً خضراً، والشمس تشرق دافئة علينا». ثم وضعت رأسها على صدر الطائر، واصابها على الفور رعب شديد، لانها شعرت كأن شيئاً في جوف الطائر يخفق: دُم، دُم. انه قلب الطائر لم يكن في الحقيقة ميتاً، بل فقد الوعي من البرد، وقد اعاد الدفء الحياة اليه. ففي الخريف تهاجر طيور السنونو جميعاً الى البلدان الدافئة. ولكن اذا تخلف احدها وفاجأه البرد، فانه يتجمد ويهوي كالميت، ويبقى حيث هوى فيغطيه الثلج البارد. ارتعدت «الصغيرة»

كثيراً: فقد اصابها ذعر شديد، لان الطائر اكبر منها كثيراً، فلم تكن هي تزيد على عقدة في طولها. ولكنها تشجعت ووضعت مزيداً من الصوف على السنونو المسكين، ثم اتت بورقة، اتخذت منها لحافاً لها، ووضعتها على رأس الطائر المسكين. وتسللت في الليلة التالية لتلقي نظرة اليه. كان حياً ولكنه واهن جداً. ولم يستطع الا ان يفتح عينيه لحظة واحدة ينـظر الى «الصغيرة» التي وقفت تحمل في يدها عصا نخرة، لانها لم تملك فانوساً.

وقـال السنـونـو المريض :شكراً لك ايتها الحسناء الصغيرة. لقد نعمت بالدفـء اللطيف، وسرعان ما سأستعيد قوتي واكون قادراً على التحليق في الشمس الدافئة.

فقالت! اوه! الجو الآن بارد جداً في الخارج. فالثلج يتساقط وكل شيء ينجمد. فامكث في فراشك الدافيء. وسوف ارعاك ثم جلبت للسنونو قليلاً من المـاء في ورقة ورد. وقال لها بعد ان شرب انه جرح في احد جناحيه في شجيرة شائكة ولم يستطع مواكبة الطيور الاخرى في سرعتها وهي تهاجر الى البلدان الدافئة فهوى اخيراً على الارض ولم يعد يتذكر شيئاً آخر. ولايدري كيف جاء حيث وجدته في هذا المكان. بقي السنونو تحت الارض طوال الشتـاء، و«الصغـيرة» تتعهـده برعايتها وحبها ولم يعرف الخلد او فأرة الحقل شيئاً عن ذلك، فهما لم يكونا يحبان طيور السنونو.

ووافى فصل الربيع مسرعاً واشاعت الشمس دِفأها في الارض. وازجى السنـونـو تحية الوداع الى «الصغيرة» ثم فتحت النافذة. التي صنعها الخلد في السقف. واشرقت الشمس عليهما رائعة فطلب السنونو اليها ان ترافقه، اذ بوسعها ان تجلس على ظهره، كما قال، ويطير بها الى

الغابات الخضر. ولكنها تعرف ان ذلك سيورث فأرة الحقل حزناً شديداً اذا ماتركتها بتلك الطريقة، فقالت له: لا، انا لااستطيع فقال السنونو: وداعاً اذن، وداعا ايتها الحسناء الصغيرة الطيبة.

ثم حلق في نور الشمس. وراحت الصغيرة ترنو اليه وفاضت الدموع في عينيها، فقد كانت مولعة بالسنونو المسكين. وشدا الطائر: تويت، تويت، وهو يحلق نحو الغابات الخضر. وشعرت الصغيرة بحزن شديد. ولم يسمح لها بالخروج حيث الشمس الدافئة، فقد ارتفعت الحبوب التي زرعت فوق بيت فأرة الحقل وغدت غابة كثيفة بالنسبة الى الصغيرة. التي لم يكن طولها يزيد على العقدة الواحدة.

وقالت لها الفارة: ستتزوجين الخلد ايتها الصغيرة. فقد طلبك جاري. يالحسن حظ طفلة صغيرة مثلك! سنشرع الآن باعداد ملابس عرسك، التي يجب ان تكون من الصوف والكتان. وينبغي ان لاينقصك شيء، اذ ستكونين زوجة الخلد.

وكان على «الصغيرة» ان تغزل. واستأجرت فأرة الحقل اربعة عناكب لينسجوا ليلاً ونهاراً. وكان الخلد يزورها كل مساء ويتحدث باستمرار عند انتهاء فصل الصيف. عند ذلك سيتم زواجه من «الصغيرة» ولكن حرارة الشمس الآن شديدة جداً فحرقت الارض وجعلتها بالغة الصلابة كحجر. وما ان انتهى الصيف حتى تقرر ان يتم الزواج. ولكن الصغيرة. لم تكن مسرورة قط، لان الخلد الممل لم يكن يعجبها. كانت تتسلل الى الباب كل صباح عند شروق الشمس وكل مساء عند غروبها. وكانت تستطيع ان ترى السماء الزرقاء عندما تهب الريح فتكف اوراق الحبوب جانباً، فكرت في نفسها بجمال المنظر وتألقه في الخارج وتمنت كثيراً ان ترى السنونو العزيز عليها مرة اخرى، بيد انه لم

يعد قط، فقد حلق بعيداً وهو الآن في الغابة الخضراء الجميلة.
وعنـدما وافى الخريف كان جهاز عرسها كاملاً وقالت لها فأرة الحقل: يجب ان يتم الـزواج بعد اربعة اسابيع. فبكت الصغيرة وقالت انها لاتريد الزواج من الخلد الكريه فردت عليها فأرة الحقل قائلة: هراء! لاتكوني عنيدة وإلا عضضتك باسناني. انه خلد وسيم. والملكة نفسها لا تلبس اجمل من فرائه ومخمله. ومطابخه وقبوه مليئة فينبغي لك ان تكوني شاكرة لمثل هذا الحظ السعيد. وهكذا تم تعيين يوم الزفاف حيث سيذهب الخلد ليأخذ «الصغيرة» لتعيش معه في اعماق الارض ولن ترى الشمس الـدافئة مرة اخرى، لانه لم يكن يحبها. وقد انتابتها، التعاسة وهي تفكر بوداع الشمس البهية، ولما سمحت لها فأرة الحقول ان تقف لدى الباب، ذهبت لتلقي عليها نظرة اخرى.
«وداعاً ايتها الشمس المتألقة» صاحت الصغيرة وهي تمد ذراعها نحو الشمس، ثم ابتعدت قليلاً عن البيت.كانت الحنطة قد حصدت ولم يبق في الحقول الا الجذامات. وكررت قولها: «وداعاً، وداعاً» وهي تطوق بذراعها زهرة حمراء صغيرة تنمو قريباً منها: تحياتي الى السنونو الصغير اذا رأيتـه مرة اخـرى. «تـويت، تويت» سمعت في الحال شدوه فوق رأسها. فرفعت بصرها ورأت السنونو نفسه يطير قريباً منها. وما ان ابصر بالصغيرة حتى ابتهج كثيراً. وبينت له انها كارهة زواجها بالخلد القبيح والعيش معـه تحت الارض وعـدم رؤية الشمس المتـألقة بعد ذلك. وكانت تبكي وهي تحكي له عن ذلك.
فقـال لها السنـونـو: الشتاء البارد مقبل علينا وسوف اطير الى البلدان الـدافئـة، فهل لك ان تأتي معي؟ بوسعك الجلوس على ظهري وشد نفسـك في مكـانـك بوشاحك وبهذا سنحلق بعيداً عن الخلد الكريه

وحجراته المظلمة . . ونمر فوق الجبال متجهين الى البلدان الدافئة حيث الشمس اشد تألقاً مما هنا، وحيث الصيف الدائم والزهور المتفتحة عن جمال ابهى .

فقالت الصغيرة: «اجل سأذهب معك» وجلست فوق ظهر الطائر ورجلاها على جناحيه المبسوطين، وربطت نفسها بوشاحها الى احدى ريشاته القوية .

ثم حلق السنونو في الجو وطار فوق الغابة وفوق البحر وفوق الجبال الشاهقة التي يغطيها الثلج الابدي . واوشكت الصغيرة ان تتجمد لولا انها زحفت تحت ريش الطائر الدافيء، وقد ابقت رأسها مكشوفاً لكي تتملى بحسن الاراضي التي يمران فوقها. واخيراً وصلا البلدان الدافئة حيث تشرق الشمس متألقة. والسماء تنأى كثيراً عن الارض وتنمو على اسيجة الشجيرات وجوانب الطرق اعناب ارجوانية وخضر وبيض .

ويتدلى الليمون والبرتقال من الاشجار في البساتين ويتضوع في الجواريج الآس وعطر القدّاح . ويتراكض الاطفال الرائعون في جمالهم في دروب الريف يتلاعبون بفراشات كبيرة زاهية . وبدا كل مكان اروع من غيره كلما اوغل في طيرانه ابعد فابعد .

ووصلا اخيراً الى بحيرة زرقاء والى جانبها ينتصب قصر باهر من الرخام الابيض تظلله اشجار قاتمة الخضرة، بني في الازمان الغابرة . وكانت الكروم تلتف بعناقيدها حول الاساطين الشامخة وفي اعلاها بنت طيور السنون اعشاشها، وكان واحد منها بيت السنونو الذي حمل «الصغيرة» .

قال السنونو: هذه داري، غير انها لاتصلح لك سكناً فلن ترتاحي فيها، وما عليك الا انتقاء احدى هذه الزهور البديعة، وسوف اضعك عليها،

وكان عمود من الرخام كبير ملقى على الارض، غدا ثلاثة قطع لدى سقوطه ونمت بين هذه القطع اجمل الزهور البيض الكبيرة. فحط السنونو بالصغيرة ووضعها على احدى الاوراق العريضة. ما اشد دهشتها لما رأت في وسط الزهورة رجلاً صغيراً، ابيض وشفافاً كأنه قُد من البلور! وقد وضع على رأسه تاجاً من الذهب، وله جناحان رقيقان على كتفيه ولم يكن اكبر حجماً من «الصغيرة نفسها. انه ملاك الزهور، فقد كان يسكن في كل زهرة رجل صغير او امرأة صغيرة، وكان هو ملك اولئك جميعاً. ما اجمله! «همست الصغيرة للسنونو».

ارتاع الامير الصغير باديء ذي بدء من الطائر الذي كان كالعملاق قياساً الى مخلوق صغير مثله، بيد انه لما رأى «الصغيرة» ايقن انها اروع حسناء صغيرة تقع عيناه عليها فاخذ التاج الذهب من على رأسه ووضعه على رأسها وسألها عن اسمها وطلب اليها ان توافق ان تكون زوجاً له وملكة على الزهور جميعاً.

انه لا ريب زوج يختلف عن ابن الضفدعة او الخلد بفرائه ومخمله الاسود. فقالت نعم للامير الوسيم. ثم تفتحت جميع الزهور وخرج من كل واحدة سيدة او سيد صغير، حسنهم يبعث البهجة في النفس اذا وقع البصر عليهم. واتى كل منهم بهدية الى «الصغيرة» ولكن احسنُها زوجين من الاجنحة الجميلة مما تمتلكه الفراشات البيض الكبيرة. وثبتا على كتفي الصغيرة لكي تطير من زهرة الى اخرى. وعمت البهجة وطلبوا الى السنونو الصغير الجالس في عشه فوقهم ان يشدو لهم باغنية عرس فابدع في انشادها ايما ابداع. غير انه شعر بالشجن في صميم قلبه لانه

كان مولعاً شديد الولع بالصغيرة التي لم يكن يرغب في فراقها.
وقال لها روح الزهور: لابد أن نكف عن اطلاق اسم «صغيرة» عليك بعد هذا فهو اسم مقيت وانت رائعة الحسن. سندعوك ميا.
وقال السنونو مكتئبا «وداعاً! وداعاً!» وهو يرحل عن البلاد الدافئة عائداً الى الدنمارك حيث عشه فوق شباك البيت الذي يسكنه كاتب الحكايات الخرافية وشدا السنونو «تويت، تويت» ومن شدوه اتت القصة كلها.

شجرة التنوب



نمت شجرة تنوب صغيرة جميلة في اعماق الغابة القصية حيث صارت تنعم بدفء الشمس والهواء العذب. ولكنها بالرغم من ذلك لم تكن سعيدة ـ فقد تاقت نفسها ان تكون سامقة مثل رفيقاتها اشجار الصنوبر والتنوب التي كانت تنمو حولها. واشرقت الشمس عليها وداعب النسيم العذب اوراقها ومر بها اطفال الفلاحين الصغار وهم يثرثرون مرحاً، غير ان شجرة التنوب لم تأبه بهم. وكان الاطفال يجلبون احياناً سلة كبيرة مليئة بتوت العليق او الشليك المنظوم بالقش، ويجلسون لدى شجرة

التنوب ويقولون: ما ابدع هذه الشجرة الصغيرة! مما يزيدها شجناً على شجن.

ونمت الشجرة وطالت عقدة او مفصلاً كل سنة، ونستطيع ان نعرف عمر شجرة التنوب من عدد العقد التي على ساقها. وبالرغم من انها كانت تزداد نمـواً، فانها كانت ترسل الشكوى قائلة: ألا ليتني كنت طويله كالاشجار الاخرى، اذاً لارسلت اغصاني في كل الاتجاهات، واطلت هامتي على الدنيا الواسعة، وبنت الطيور اوكارها على افرعي، واذا هبت الريح سانحني اجلالاً شأن رفيقاتي الباسقات.

ومن فرط استيائهـا لم تجـد مايبهجهـا في ماتبثه الشمس من دفء او ماتـرسله الطيور من عذب الاغاريد او تبعثه السحب الوردية العائمة فوقها صباح مساء. واذا حل الشتاء ورقد الثلج على صدر الارض ابيض متـألقاً، جاء ارنب بري يتواثب ويقفز فوق الشجيرة، فما اشد البؤس الـذي تشعـر به! ومضى شتـاءان وعندما وافى الشتاء الثالث، كانت الشجـرة قد طالت فاضـطر الارنب ان يجـري حولهـا. ولكنها ظلت ساخـطة غير راضية تجأر بالشكوى قائلة: اواه! لو اني اواصل النمو طولاً وكبرا! ولايطيب العيش في هذه الدنيا لغير ذلك.

واقبـل الحطابون في الخريف على وفق عادتهم واقتطعوا عدة من طوال الشجـر. وارتعـدت شجرة التنوب الفتية، التي لم تبلغ الطول كماله، عندما تهاوت الاشجار النبيلة مرتطمة بالارض وبعد ان شذبت الفروع بانت الجذوع هزيلة، عارية لاتكاد تعرف ووضعت في عربات سحبتها الخيول بعيداً عن الغـابـة. «الى اين يذهبون بها؟ وماذا سيحل بها؟ وتمنت شجرة التنوب الفتية لو تعرف ذلك. وعندما اقبل الربيع واتت معـه طيور السنـونـو واللقـالق، سالتهـا: اتعلمـون اين اخـذوا تلك

صادفتموها؟ لم تكن طيور السنونو تعرف شيئاً، ولكن لقلقاً اوما برأسه بعد شيء من التأمل وقال: اجل، احسب اني صادفتها. فقد رأيت عدة سفن جديدة عندما جئت طائراً من مصر، وفيها صوارٍ تفوح منها رائحة كرائحة التنوب واخال انها كانت تلك الاشجار. واوكد لك انها كانت تنتصب بجلال وشموخ: فقالت شجرة التنوب: لكم اتمنى ان اكون باسقة لكي اذهب الى البحر. فما البحر وما شكله؟.

فرد عليها اللقلق قائلاً: «سيستغرق شرح ذلك زمناً طويلاً» واسرع بالتحليق مبتعداً عنها.

وقال لها شعاع الشمس: «تمتعي بشبابك، وابتهجي بنمائك الغض وشبابك النضر». وقبلها النسيم وبللها الندى بدموعه، ولكن شجرة التنوب لم تحفل بهم.

واقبل عيد الميلاد وقطع كثيرمن الاشجار الفتية، وكان بعضها اصغرعمراً واقل ارتفاعاً من شجرة التنوب التي لم تنعم براحة او سلام من اللهفة الى مغادرة الغابة. اختيرت تلك الاشجار الفتية لحسنها وحفظت لها فروعها، ولكنها وضعت ايضاً في عربات تجرها خيول خارج الغابة. وسألت شجرة التنوب: اين يذهبون بها؟ فهي ليست اطول مني، بل ان احداها اقصر مني. ولم لَمْ تشذب اغصانها؟ اين يذهبون بها؟.

وغردت طيور السنونو قائلة: نحن نعرف، نحن ندري، فلقد نظرنا في نوافذ بيوت المدينة، وعرفنا ماذا يفعلون بها فهي تظهر بابهى صورة. رأيناها شاخصة في وسط حجرة دافئة مزينة باجمل الاشياء ـ كالكعك المعسل والتفاح المذهب، واللعب ومئات كثيرة من الشموع.

فسألت شجرة التنوب وهي ترتعش باغصانها: ثم ماذا، ماذا حدث بعد

ذلك؟
فاجابت طيور السنونو: لم نر غير ذلك، ففـي ما رأينا يكفينـا. طفقت شجرة التنوب تفكر فـي نفسها: واعجبي، هل سيحدث لي من هـذه الامور المتالقة شيء؟ ذلك خير من عبور البحار. واني لاتوق الى ذلك توقاً اليماً. ومتى سيحل عيد الميلاد هاهنا؟ فقد بلغت من الطول والنمو مابلغت تلك الشجيرات التي اخذت فـي السنة الماضية. ليتني الآن على عربة او ليتني قائمة فـي حجرة دافئة فاحظى بكل ذلك التألق والابهة! ولابد ان شيئاً احسن واجمل سيحصـل بعد ذلـك والا فلن تزين الاشجـار هذا التزيين. اجل ان ماسيحدث سيكون ابهى واروع؟ فما عساه يكون؟ لقد اضناني الشوق ولم اعد اعرف كنه مشاعري.

فقال النسيم وضوء الشمس: امرحي معنا وابتهجي بحياتك المشرقة فـي الهواء العذب.

لكنها لم تكن تريد ان تبتهج، بالرغم من انها تزداد طولاً كل يوم.

وصارت اوراقها الخضر الداكنة ترى فـي الغابة شتاء وصيفـاً، ويقول عابرو السبيل: يالروعة هذه الشجرة!.

وقبيل عيدالميلاد كانت الشجرة الساخطة اول ماسقط من الاشجار، فقد هوت الفأس عليها تقطع ساقها وتفلق لبها، وانهارت على الارض تئن ألماً واعياء وقد نسيت كل آمالها فـي السعادة، واعتراها حزن عظيم لمبارحة موطنها فـي الغابة. وادركت انها لن ترى رفيقاتها العزيزات القدامى مرة اخرى، من اشجار وشجيرات، وزهور كثيرة الالوان، تلك التي نمت بقربها، ولعلها لن ترى حتى الطيور. ولم تكن الرحلة نفسها تبعث على السرور. واستفاقت الشجرة اول مرة عندما انزلت مع الاشجار الاخرى فـي فناء بيت وتناهى الى سمعها صوت رجل يقول:

لا نريد الا واحدة، وهذه اجملها.

ثم اقبل خادمان في بزة رائعة وحملا شجرة التنوب الى شقة واسعة، جميلة. علقت على جدرانها صور ووضعت قرب الموقد العظيم آنية كبيرة من الخزف الصيني على اغطيتها اسود. وفيها كراس هزازة وارائك حريرية ومناضد كبيرة عليها صور وكتب ولعب غالية الثمن، كما يقول الاطفال في الاقل. ووضعت شجرة التنوب في حوض مليء بالرمل لف بنسيج اخضر، فلا يحسبه الناظر حوضاً، ووضع الحوض على بساط بديع. ولشد ما ارتعشت شجرة التنوب! «ماذا سيحل بي بعد هذا؟» اقبلت بعض السيدات الشابات يساعدهن الخادمات في تزيين الشجرة. وعلقن على احد الاغصان اكياساً صغيرة من الورق الملون، ملئت بالحلوى، وتدلى من الغصون الاخرى تفاح مذهب وجوز يبدو كأنه من ثمارها النامية عليها. وفوق كل شيء وحوله مئات من الشموع الحمر والزرق والبيض شدت بالاغصان ووضعت دمى كالاطفال الحقيقيين تحت الاوراق الخضر ـ لم تشهد الشجرة مثل هذه الاشياء قبل هذا. وثبت في اعلاها نجمة لامعة من البهرجان. ما اروعها!.

وهتفن جميعاً: ما ابهاها واسطعها هذا المساء!.

وفكرت الشجرة في نفسها: الا ليت المساء يأتي سريعاً! وتضاء الشموع! عندئذ سأعرف ماذا يحدث بعد ذلك. هل ستأتي اشجار الغابة لتراني؟ وهل تختلس طيور السنونو نظرة خلال النوافذ وهي طائرة؟ وهل أنمو اسرع هاهنا، واحتفظ بكل هذه الزينة اثناء الصيف والشتاء؟ ولكن لاجدوى من تفكيرها ذاك. فقد اصاب لحاءها ألم وهذا الالم بالنسبة الى شجيرة هزيلة كالصداع لنا. وانيرت الشموع اخيراً، فما ابهى تألق الشجرة! وارتعشت باغصانها فرحاً، فسقطت احدى الشموع بين

الاوراق الخضر واحرقت بعضها. فصاحت السيدات اليافعات «النجدة! النجدة!» وسرعان ما اطفئت النار فزال الخطر. وحاولت الشجرة بعد ذلك ان تكف عن الارتعاش بالرغم من النار التي ارعبتها. وكانت تتوق الى عدم الاضرار باي من معالم الزينة الجميلة. حتى عندما كان تألقها يبهرها ثم فتحت الابواب على مصاريعها، واندفع رتل من الاطفال كانهم يزمعون قلب الشجرة، وتبعهم الكبار يمشون الهوينى. ثم لبث الصغار صامتين لحظة، وهم ذاهلون، ثم هتفوا فرحاً فدوّى البهو بهتافهم، ورقصوا مرحاً حول الشجرة، وهم يتناولون منها هدية إثر اخرى. وفكرت الشجرة في نفسها: ماذا هم فاعلون؟ وماذا يتلو ذلك؟ واحترقت الشموع حتى بلغت الاغصان ثم اطفئت وسمح للاطفال ان يغنموا ما على الشجرة. ما كان اعنف هجومهم! حتى ان الاغصان تصدعت، ولولا انها شدت مع النجمة اللامعة الى السقف لهوت الى الارض. ثم تراقص الاطفال حولها حاملين الدمى البديعة، ولم يلحظ الشجرة سوى مربية الاطفال التي اتت تتفحص مابين الغصون لعلها ترى تفاحة اوتينة منسية. وصاح الاطفال: قصة! قصة! قصة!» وهم يقتادون رجلاً قصيراً بديناً نحو الشجرة وقال الرجل وهو يجلس تحتها: نحن الآن تحت الظلال الخضر الوارفة، وسيسر الشجرة ان تستمع ايضاً، غير انني لن اسرد سوى قصة واحدة. فماذا تريدون؟ إيفدي افدي؟ ام همبتي دمبتي الذي سقط من السلم ولكنه نهض على الفور واخيراً تزوج الاميرة؟ فصاح بعضهم: «ايفدي افدي» وصاح آخرون «همبتي دمبتي» وعلا ضجيجهم وصراخهم ولبثت شجرة التنوب هادئة وفكرت في نفسها قائلة: «وهل لي شأن بكل هذا؟» وخصوصاً بعد ان اسهمت بنصيب وافر بتسليتهم على وفق رغباتهم ثم قص عليهم العجوز حكاية همبتي دمبتي وكيف سقط

من السلم ونهض مرة اخرى، وتزوج احدى الاميرات. صفق الاطفال وصاحوا: «احك لنا حكاية اخرى! حكاية اخرى!» ارادوا سماع حكاية ايفدي افدي، ولكنه لم يسرد لهم سوى همبتي دمبتي. بعد ذلك خلدت شجرة التنوب الى الصمت والتفكير، فلم تحك لها طيور الغابة حكاية مثل همبتي دمبتي الذي سقط من السلم ولكنه تزوج اميرة.

«اجل، هكذا تجري الامور في هذه الدنيا» جالت هذه الفكرة بخاطرها وهي تعتقد بها اعتقاداً جازماً فقد حكاها شيخ مهذب. وراحت تمعن في التفكير: «ومن يدري؟ لعلي ساقع ايضاً واتزوج اميراً». وتطلعت جذلة الى مساء الغد، متوقعة ان تعاد زينتها بالانوار واللعب والذهب والثمار.

وقالت في فكرها: «غداً لن ارتعش. وسوف اتمتع بكل ابهتي وسنائي، وساستمع الى حكاية همبتي دمبتي مرة اخرى، وربما ايفدي افدي ايضاً».

ولبثت الشجرة هادئة مستغرقة في افكارها طوال الليل. وفي الصباح جاء الخدم والخادمة.

وطفقت الشجرة تفكر: «ستعود اليّ ابهتي في الحال». غير انهم اخرجوها من البهو وصعدوا بها السلم واخذوها الى العلبة والقوها على الارض في زاوية مظلمة حيث لايصل نور النهار، وتركوها هناك.

فقالت في نفسها! مامعنى هذا! وماذا افعل هاهنا؟ ولا يسعني ان اسمع شيئاً في مثل هذا المكان! «واستندت الى الجدار واستغرقت في افكارها. وكان لديها متسع من الوقت للتفكير فقد مرت الايام والليالي ولم يقترب منها احد، واذا ما جاء اخيراً فليس مجيؤه الا من اجل القاء صناديق كبيرة في احدى الزوايا. فاختفت الشجرة عن الانظار كأنها لم تكن.

وفكرت مرة اخرى: الوقت الآن شتاء والارض صلبة ومغطاة بالثلوج فلا

يستطيعون غرسي. واحسب ان هذا سيكون مأواي حتى يحل الربيع. ما الطف الناس وما احسن اهتمامهم بي! الا ليت هذا المكان لم يكن مظلماً وموحشاً بهذا القدر، انه يخلو حتى من ارنب صغير انظر اليه. ما اروع الوجود في الغابة عندما يكسو الثلج ارضها! ويعدو الارنب بجانبي، اجل، ويقفز من فوقي ايضاً، بالرغم من انني كنت امقت ذلك. اواه، ما افظع العزلة ها هنا!

«صيء، صيء». قال فأر صغير وهو يزحف حذراً نحو الشجرة.

ثم جاء آخر واخذ الاثنان يتشممان التنوب وتسللا بين فروعها.

«آه، ما اشد البرد. هذا مكان مريح لنا، اليس كذلك ايتها التنوبة العجوز؟»

فردت الشجرة قائلة: لست عجوزاً، ثمة كثير من هن اكبر مني. فسأل الفأران حباً في الاستطلاع: من اين قدمتِ وماذا تعرفين؟ هل شاهدتِ اجمل الاماكن في الدنيا، وهل بوسعك ان تخبرينا كل شيء عنها؟ وهل ذهبت الى المستودع حيث صفت الاجبان على الرفوف وعلقت اللحوم من السقف؟ ويستطيع المرء ان يجري فوق شموع من شحم، فيخرج سميناً بعد ان دخل نحيلاً.

فقالت شجرة التنوب: لااعرف شيئاً عن ذلك المكان، بيد انني اعرف الغابة حيث تشرق الشمس وتغرد الطيور.

ثم حدثت الفأرين الصغيرين كل شيء عن طفولتها. لم يسمعا وصفاً مثل هذا في حياتهما. وتعجب الاثنان بعد ان استمعا اليها باهتمام وانتباه. ما اكثر الاشياء التي شاهدتها! لابد انك كنت سعيدة؟»

فاستنكرت شجرة التنوب قائلة: «سعيدة؟» ثم استذكرت ماروت لهما فاردفت قولها: اي، نعم، كانت تلك اياماً سعيدة ثم شرعت تحدثهما

عن عيد الميلاد وكيف زينت بالحلوى والانوار، فسألها الفاران: ما اسعدك ايتها الشجرة العجوز.

فردت عليهما: لست عجوزاً ابداً. لم آت من الغابة الا في هذا الشتاء. وقد منعت الآن من النمو.

فقال الفأر الصغير: «ما ابدع قصصك التي تروينها» وجاء معهما في الليلة التالية اربعة فئران ليستمعوا الى ما تروي الشجرة. فكلما تحدثت، تذكرت اموراً اكثر، ثم طفقت تتامل في نفسها: «كانت اياماً سعيدة، ولعلها تعود. همبتي دمبتي سقط على السلم، ولكنه تزوج الاميرة بالرغم من ذلك لعلي اتزوج اميراً» وتذكرت شجرة التنوب شجرة البتولا الصغيرة الجميلة النامية في الغابة وكانت بالنسبة اليها مثل امير حقيقي جميل.

وسألتها الفئران من هو همبتي دمبتي؟ فروت لهما الحكاية كلها. وقد تذكرت كل كلمة منها، فسرت الفئران الصغيرة بها كثيراً، وكادت ان تثب الى اعلى الشجرة.

وفي الليلة الثانية اقبلت فئران كثيرة اخرى. وفي يوم الاحد جاء معهم فاران وقالا ان الحكاية لم تكن جميلة قط، فتألمت الفئران الصغيرة لان قولهما قلل لديها من شأن الحكاية فسأل الفأران: وهل تعرفين حكاية واحدة فقط؟.

فاجابت شجرة التنوب: نعم واحدة فقط. سمعتها في اسعد امسية من حياتي، ولكنني لم اكن اعلم انني كنت في مثل تلك السعادة آنذاك.

فقالت الفئران: ولكننا نعتقد انها حكاية بائسة. الاتعرفين اية حكاية عن اللحم والشحم في المستودع.

فقالت الشجرة: لا.

فبرح الفأران المكان وقد قالا لها! شكراً جزيلاً اذن.

ومضت الفئـران الصغـيرة ايضـاً ولم تعـد بعد هذا، وتنهدت الشجرة وقالت: كان جلوس الفئران المرحة حولي والاستماع الى حديثي مبعث سرور في نفسي. اما الآن فقد غدا ذلك كله جزء من الماضي، على انني سأعدّ نفسي في منتهى السعادة اذا ما جاء احد واخرجني من هذا المكان.

ولكن هل حدث شيء من ذلك؟ اجل، فقد جاء بعض الناس لتنظيف الغـرفة العليا، فاخرجت الصناديق منها وانتزعت الشجرة من الزاوية والقيت بعنف على ارض الغرفة ثم سحبها الخادم الى السلم حيث اشرق نور النهار.

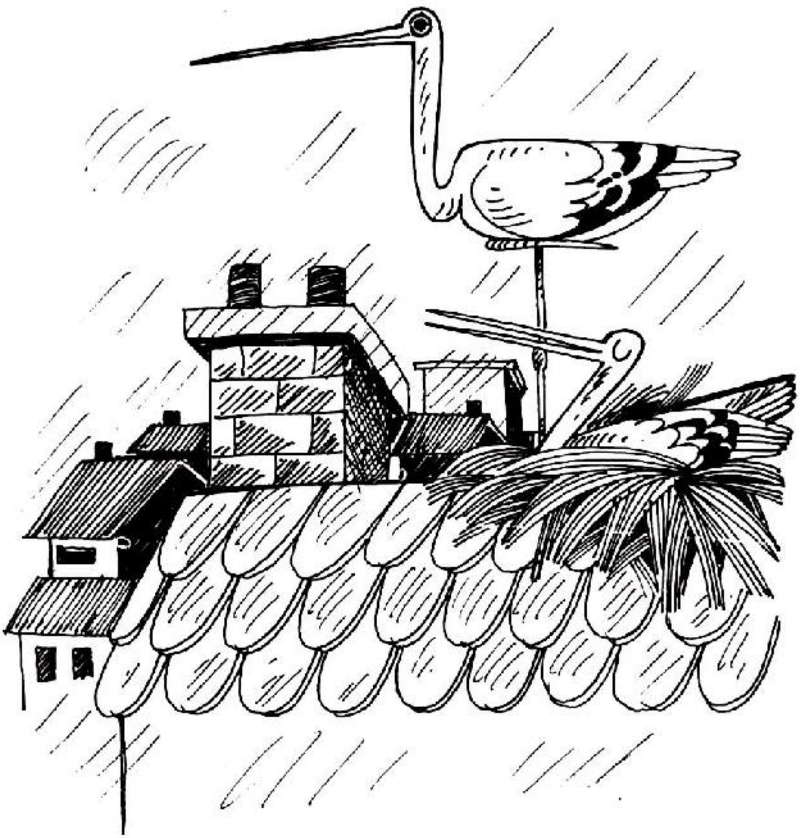
وقالت الشجرة وهي تستمتع بنور الشمس والهواء العذب: «لقد عادت الحياة مرة اخرى». ولكنهم انزلوها الى الفناء على عجل فنسيت ان تفكر بنفسها، ولم يسعها الا ان تلتفت حولها. فمااكثر الاشياء التي تستحق المشاهدة! وقد كان الفناء قريباً من الحديقة حيث بدا كل شيء مزهراً. وتعلقت الورود الناضرة الشدية بالسياج الخشبي. وقد تفتحت ازهار شجـر الزيزفون، وراحت طيور السنونو تحلق هنا وهناك وهي تزقزق «تـويت، تويت، تويت، هاقـد اتت حبيبتي» ولكنها لم تقصد بدلك شجرة التنوب».

وهتفت الشجرة وهي تمد اغصانها في بهجة وتقول: «ساعيش الآن». ولكن واحسرتاه فقد ذوت جميعاً واصفرت والقيت في ركن بين الادغال والقراص. وكانت نجمة الورق الذهبي ماتزال عالقة في اعلى الشجرة متلألئة في اشعة الشمس. وكان يلعب في الفناء طفلان من الاطفال المـرحـين الدين رقصوا مسرورين حول الشجرة في عيد الميلاد. فراى

الصغير النجمة الذهبية وجرى اليها وانتزعها من الشجرة. وقال وهو يطأ اغصانها حتى تقصفت تحت حدائه: انظر ماذا علق بشجرة التنوب الهرمة القبيحة.

ورأت الشجرة كل الازهار الناضرة الزاهية في الحديقة ثم نظرت الى نفسها وتمنت لو انها بقيت في ركنها المظلم من الغرفة العليا، واستذكرت شبابها الغض في الغابة وامسية عيدالميلاد المرحة، والفئران الصغيرة التي استمعت الى حكاية همبتي دمبتي وقالت الشجرة الهرمة: مضى ذلك وانقضى! فياليتني متعت نفسي ايان كان ذلك ممكناً! ولكن فات الاوان.

ثم اقبل غلام واهوى على الشجرة يقطعها قطعاً صغيرة حتى غدت كومة كبيرة على الارض، وصار يضع تلك القطع في نار تحت ابريق، وسرعان ما تأججت، واخذت الشجرة تطلق تأوهات عميقة كأنها طلقات مسدس صغيرة. ثم جاء الاطفال الذين كانوا يلعبون وجلسوا امام النار ينظرون اليها ويهتفون: طق! طق! وكانت مع كل طقة، وهي تنهدة عميقة تطلقها الشجرة تفكر بيوم من ايام الصيف في الغابة او بليلة من ليالي الشتاء فيها عندما تتلألأ النجوم ساطعة، وبامسية عيد الميلاد وهمبتي دمبتي تلك الحكاية الوحيدة التي سمعتها او عرفت كيف ترويها، حتى التهمتها كلها. وظل الاطفال يلعبون في الغابة وكان اصغرهم يضع على صدره النجمة الذهبية التي كانت تزين الشجرة في اسعد امسية مرت بها ولكن هذا انتهى بانتهاء حياة الشجرة. والقصة ايضاً ـ لان لكل قصة نهاية آخر الامر.



اللقالق

بنى لقلق عشه على سطح بيت في طرف مدينة صغيرة. جلست الام في العش مع صغارها الذين اخرجوا مناقيرهم السود الصغيرة التي لم تحمر بعد. ووقف الاب غير بعيد على حرف تلاقي سطحي الجملون، منتصباً وطيداً وقد ثنى احدى ساقيه تحت بطنه، لكي يكون متأهبا لاي مشكلة تطرا وهو واقف في حراسته بلا حراك كانه منحوت من خشب. وفكر في نفسه: «ان من المهابة لزوجي ان يكون لها حارس يحمي عشها. والناس لايعلمون اني زوجها واحسبهم يظنون انني مأمور بالوقوف هنا

وهو منظر بديع» وهكذا ظل واقفاً على احدى ساقيه .

وكانت جماعة من الاطفال يلعبون في الشارع . وعندما لمحوا اللقلق اخذ اكثـر الاطفـال وقاحة يغني ويردد الاخرون وراءه اغنية عن اللقالق . ولكنه صار يغني كما تخطر بباله .

طر يا ابا اللقالق الى عشك

حيث فراخك في انتظارك

ثلاثة زغب، سنشوي الاول منها

والثاني نشنقه والثالث نحرقه

فسألت اللقالق الفراخ امها: استمعي! ماذا ينشد الاولاد؟

أهُم يقولون اننا سوف نشنق ونحرق؟

فقالت الام: لاتقلقوا انفسكم بشأنهم ولاتستمعوا اليهم فلن يضيركم ذلك شيئاً .

ولكن الاولاد ظلوا يغنـون ويشـيرون باصابعهم الى اللقالق عدا ولدا واحداً اسمه بيتر قال: «عار عليكم ان تهزأوا بالمخلوقات» ولم يشاركهم في هزئهم .

وبعثت الام السكينة في نفوس صغارها قائلة: لاتشغلوا بالكم بذلك .

انظروا أباكم ترونه واقفاً بهدوء على ساق واحدة. وقالت الفراخ وهي تدس رؤوسها في العش: ولكننا خائفون كثيراً. وعندما عاد الاطفال في اليوم الثاني الى لعبهم وراوا اللقالق، اخذوا يغنون اغنيتهم القديمة:

ثلاثة زغب، سنشوي الاول منها

والثاني نشنقه والثالث نحرقه

فسألتها اللقالق الصغيرة: هل نشنق ونحرق؟

فقـالت الام: لا، ابـداً، بل ستتعلمـون الطيران. سأدربكم بنفسي

وسنذهب الى الحقول ونزور الضفادع. وستنحني احتراما لنا في الماء، وتغني: نق، نق! عند ذلك سوف نزدردها. انها وليمة ستعجبكم كثيراً.
فسألتها الصغار: وماذا بعد ذلك؟
واجابتهم: ستجتمع كل لقالق البلاد للقيام بمناورات الخريف وما عليكم الا ان تحسنوا الطيران، لان الذي لايسعه ذلك، سوف يخرق القائد جسمه بمنقاره. فعليكم ان تنتبهوا لتتعلموا عندما اشرع بتدريبكم.
وقال الصغار: لعلنا نُشوى بعد ذلك كما يقول الاولاد، فاستمعي، انهم يغنونها ثانية!.
فقالت الام: استمعوا الي ولاتستمعوا اليهم. سنطير بعد المناورات الكبرى الى البلدان الدافئة البعيدة، محلقين فوق الغابات والجبال. وسنذهب الى مصر حيث فيها بيوت مثلثة السطوح تبلغ عنان السماء، وتسمى الاهرام وهي اقدم مما يسع اللقالق تذكرها؛ وفيها ايضاً نهر يفيض على ضفتيه فتستحيل جميع الاراضي على جانبيه بركاً، تستطيعون الخوض فيها وتناول الضفادع. فقالت الصغار متلهفة: واها!
قالت الام: اجل، انه امر رائع! فلا عمل لكم سوى الاكل طوال النهار. وسنظل في ارفه حال حتى لاتبقى ورقة على الاشجار في تلك البلاد، وسيأتي البرد وتتجمد السحب حتى تصبح قطعاً.وتتساقط على الارض ندفاً صغيرةً.
وتعني بها الثلج، ولكنها لم تكن تحسن وصف ذلك. وسألت اللقالق الصغار: الا يتجمد الاولاد الخبثاء قطعاً؟ فاجابت الام: لا، لن يتجمدوا قطعاً، بل ستقرب حالهم من ذلك عندما يقبعون منقبضة

صدورهم فـي غرف مظلمة، اما انتم فستحلقون فـي بلاد غريبة، حيث يعم الدفء ونور الشمس بين الزهور.

ودرج الوقت وكبر الصغار فصاروا يقفون فـي العش وينظرون حولهم. وكان الاب يطير ذهاباً واياباً كل يوم بحمل الضفادع اللطيفة والافاعي الصغيرة وكل طعام شهي يستطيع الحصول عليه. وكان يدير رأسه حتى يبلغ ذنبه ويروح يطقطق بمنقاره كأنها قعقعة. ثم يروي لهم قصصاً سمعها فـي المستنقعات.

وقالت الام يوماً: والآن عليكم ان تتعلموا الطيران:

فوجب على الصغار ان يقفوا على حافة السقف فترنحوا كثيراً محاولين حفظ توازنهم باجنحتهم، وكادوا يسقطون.

فقـالت الام: انظروا الآن اليّ! هكـذا تـرفعـون رؤوسكم وتحـركـون ارجلكم: واحد، اثنان، واحد، اثنان. سوف يعينكم هذا على فهم امور دنياكم.

وطارت مسافة قصيرة، فوثب الصغار وثبـة صغيرة غـير بارعـة فهبطوا مرتطمين لثقل اجسامهم.

وقال احدهم وهو يزحف الى داخل العش: لا اريد ان اطـير ولا يهمني الذهاب الى البلدان الدافئة فقالت له امه: أتريد ان تتجمد هنا حتى الموت حينما يحل الشتاء؟ هل يأتي الاولاد ويشنقونك او يحرقونك او يشدونك؟ سادعوهم فوراً! وقال اللقلق الصغير! لا، لا! وهو يخـرج متواثبـاً الى السطح كالاخرين.

واستطاعوا فـي اليوم الثالث ان يطيروا طيراناً جيـداً. ثم توهمـوا انهم قادرون على التحويم فحاولوا ولكنهم فشلوا! ـ وسرعان ما وجدوا انهم يجب الا يعودوا الى تحريك اجنحتهم.

ثم انشأ الاولاد يغنون مرة اخرى :

«طريا ابا اللقالق الى عشك» .

وسأل الصغار امهم : انتزل ونفقأ عيونهم .

فقالت لهم امهم : كلا ، اتركوهم وشأنهم ولاتأبهوا الا بي وهو اجدى لكم . واحد ، اثنان ، ثلاثة ! والآن سنطير الى اليمين : واحد ، اثنان ، ثلاثة ! ثم الى اليسار وحول المدخنة . هذا ممتاز ! .

كان خفق الاجنحة اخيراً رائعاً ورفرفتها سوفقة ، لذا ساسمح لكم بالذهاب معي الى المستنقع غداً . وكثير من اللقالق المهذبة تذهب الى هناك مع اطفالها ، وليكن اطفالي ارفعهم تهذيباً ولاتنسوا ان ترفعوا رؤوسكم عالياً ، ففي ذلك حسن مظهركم ، ويضفي عليكم مهابة .

وسألت اللقالق الصغار : ولكن السنا بمنتقمين من الاولاد الخبثاء؟ .

فقالت الام : فليزعقوا ما شاءوا ان يزعقوا ! فانكم ستطيرون مع السحب الى بلاد الاهرام ، ولعلهم سيتجمدون ولن تبقى عندئذ ورقة خضراء او تفاحة حلوة هاهنا ! .

وتهامسوا في مابينهم : ولكننا سننتقم ! ثم استأنفوا تدربهم .

ولم يكن بين اولاد الشارع قاطبة من هو اسوأ في الهزء من اللقالق من ذلك الذي بدأ بالاغنية الساخرة . كان صبياً صغيراً لايتجاوز السادسة من عمره ، ولكن اللقالق الصغيرة حسبته لايقل عن مئة عام ، لانه كان اكبر من ابيه وامه ، ولم تكن لديهم فكرة عن اعمار الاطفال والكبار من البشر .

وارجأوا انتقامهم من الولد الذي بدأ بمضايقتهم ، ولم يكف عن ذلك قط .

واغتاظت اللقالق الصغيرة الى درجة مرعبة من مضايقته . وكلما كبروا قل احتمالهم لذلك . فاضطرت امهم اخيراً ان تعدهم بتمكينهم من الانتقام ، ولكن في اليوم الاخير قبل مغادرتهم .

وقالت الام: ولكن سنرى اولا كيف تتصرفون في المناورات. واذا ما اخفقتم واضطر القائد ان يخرق صدوركم بمنقاره، فان الاولاد سيكونون على صواب آخر الامر، في جانب واحد، في الاقل.

«سترينننا!» قال الصغار. وما اشد ماقاسوا من آلام! وطفقوا يتمرنون كل يوم حتى صار بوسعهم ان يطيروا بخفة اي طائر. وقد كان ذلك بهجة للمشاهدين.

ثم اقبل الخريف. وشرعت اللقالق كلها تجتمع، قبل ان تبدأ الهجرة الى البلدان الدافئة حيث تمضي شتاءها. تلك هي المناورات في الحقيقة! وكان عليهم ان يطيروا فوق غابات ومدن لتجريب اجنحتهم، لان المسافة التي امامهم طويلة جداً. واجادت اللقالق الصغيرة كل ماطلب منها، فنالت مكافآت لاتنتهي من الضفادع والافاعي ونالوا اعلى الدرجات وكان بوسعهم ان يأكلوا الضفادع والافاعي بعد ذلك. وهذا ماحصل بلا ريب.

ثم قالوا: والآن سننفذ انتقامنا!

فقالت الأم: اجل، لاشك في ذلك، انما خطتي هي هذه ـ واحسب انها هي الخطة الصحيحة. فاني اعرف البركة التي يرقد فيها كل اطفال البشر الذين تجلبهم اللقالق وتسلمهم الى والديهم. ترقد هذه المخلوقات اللطيفة وترى احلاماً جميلة، اجمل من اي حلم من احلام المستقبل. ويتمنى كل من الوالدين مثل هذا الطفل الصغير. ويريد كل طفل اخاً صغيراً او اختاً. سنطير الآن الى البركة لنجلب اخاً صغيراً او اختاً لكل الاطفال الذين لم يشاركوا في انشاد تلك الاغنية المروعة، او في السخرية من اللقالق. اما الذين غنّوه ـ لن يكون لهم اخ او اخت.

فصرخت اللقالق الصغيرة: ولكن ماذا عن الولد الشرير الذي كان اول من غنى؟ ماذا نفعل بشأنه؟

فقالت الام: في البركة طفل صغير ميت ـ استغرق في احلامه حتى مات. سنأخذه اليه، وسيبكي لاننا اتينا له باخ صغير ميت. ولاريب انكم لم تنسوا الصبي الطيب الذي قال: «من العار ان تسخروا من المخلوقات!» سنأخذ له اخاً واختاً. وبما ان اسمه بيتر فسادعوكم جميعاً باسم بيتر ايضاً.

وتحقق ما قالت وصارت اللقالق جميعاً تدعى بيتر الى يومنا هذا.

زهور ايدا الصغيرة



قالت آيدا الصغيرة: ماتت ازهاري المسكينة. وقد كانت مساء امس في منتهى الحسن. اما الآن فقد ذوت اوراقها وتدلت فما سبب ذلك؟ القت بسؤالها هذا الى الطالب الجالس على الاريكة الذي كانت معجبة به كثير الاعجاب. فقد كان بوسعه ان يقص عليها احسن القصص المسلية ويقطع ابدع الصور، من الورق، كالقلوب والسيدات الراقصات والقلاع ذات الابواب التي تفتح، والزهور ايضاً. وكان يبعث البهجة في نفسها. وعادت تسأله وهي تشير الى باقة

زهورها الصغيرة الذابلة: لماذا تبدو هذه الزهور ذاوية؟ فاجابها الطالب: الا تعلمين ماخطبها؟ لقد ذهبت زهورك الى حفلة راقصة في الليلة الماضية، فلا عجب اذن اذا ما تدلت رؤوسها. فصاحت آيدا الصغيرة: ولكن الزهور لايمكنها ان ترقص! فرد عليها قائلاً: بل هي تستطيع ذلك حقاً، فعندما يشتد الظلام، ويخلد الجميع الى النوم، فانها تتواثب مرحة هنا وهناك فهي تقيم حفلاً راقصاً كل ليلة تقريباً. فسألته: وهل بوسع الاطفال ان يذهبوا الى تلك الحفلات الراقصة؟ فاجابها الطالب: اجل، والاقحوان وزنابق الوادي ايضاً فسألت آيدا الصغيرة: واين ترقص الزهور؟.

فقال: الم تري القلعة الكبيرة خارج اسوار المدينة، حيث يعيش الملك في الصيف وحيث تكثر الزهور في الحديقة الجميلة؟ اولم تطعمي الاوز بالخبز عندما يقبل نحوك سابحاً في البحيرة؟ هناك تقيم الزهور حفلات راقصة رائعة، صدقيني.

فقالت آيدا: كنت مع امي في الحديقة امس، غير ان اوراق الشجر جميعاً كانت ساقطة، ولم تبق زهرة واحدة، مع اني اعتدت ان ارى زهوراً كثيرة في الصيف، فاين ذهبت؟.

فرد الطالب عليها بقوله: انها في القلعة، لابد ان تعرفي ان الزهور تخرج من الحديقة وتدخل القلعة، حالما يعود الملك ورجال بلاطه الى المدينة، فترينها ترفل بالمرح العظيم. وتجلس اجمل وردتين في العرش ويطلق عليهما الملك والملكة. ثم تصطف زهور عرف الديك الحمر على كلا الجانبين وتنحني لهما. هؤلاء السادة رهن الاشارة ثم تدخل بعد ذلك الزهور الجميلة وتبدأ الحفلة الراقصة الفخمة، ويمثل البنفسج طلبة الكلية العسكرية البحرية، ويرقصون مع الزهرات الياقوتية والزعفران اللواتي

يطلقون عليهن الغيد الحسان اما الخزامى والزنبق المخطط فهن العجائز الجالسات يتفرجن ويراقبن الرقص لكي تسير الامور على وفق التقاليد المرعية والحشمة .

فقالت آيدا الصغيرة : ولكن أليس ثمة من يؤذي الزهور لرقصها فـي قلعة الملك؟

اجابها الطالب : لايعرف احد شيئاً عن ذلك . فقد يدخل احياناً القهرمان العجوز اي الامين الاكبر ليتفقد امور القلعة ليلاً وهو يحمل شدة مفاتيح عظيمة . وما ان تسمع الزهور جلجلة المفاتيح ، حتى تسرع وتختبيء وراء الستائر الطويلة وتقف هادئة ساكنة وتختلس النظر . ثم يقول القهرمان : اشم ازهـاراً هاهنـا! ولكن لايمكنه رؤيتهـا فتقول آيـدا الصغيرة وهي تصفق : ما اروع ذلك! ايمكن ان ارى تلك الزهور؟ .

فيقول لها الطالب : اجل . تذكري ان تفكري بذلك عندما تخرجين فـي المـرة القادمـة . فسترينهـا دون ادنى ريب اذا ما اختلست النـظر خلال النافذة . وقد فعلت انا ذلك هذا اليوم فرأيت زنبقة طويلة صفراء مستلقية على الاريكة . انها من سيدات البلاط .

فسألت آيدا : ايمكن لزهور الحدائق النباتية ان تذهب الى هذه الحفلات الراقصة؟ انها مسافة شاسعة! .

فاجابها الطالب : اي ، نعم! عندما تشاء ، فهي تستطيع الطيران ألم تري تلك الفراشات الحمر والبيض والصفر الجميلة التي تشبه الزهور؟ فقد كانت ذات يوم زهوراً ، وطارت تـاركة السيقـان وحلقت فـي الهواء ، ورفرفت باوراقهـا كأنها اجنحـة صغيرة تجعلهـا تطير واذا مـا احسنت التصرف فانها يسمح لها بالطيران هنا وهناك اثناء النهار ، بدلاً من ان تقسر

على الجلوس على السيقان في الحديقة، حتى تصبح اوراقها اجنحة حقيقية بمرور الزمن ولعل زهور الحدائق النباتية لم تذهب الى قصر الملك قط، لذا فانها لاتعرف شيئاً عن المرح الذي يجري كل ليلة. ساقول لك ماذا تفعلين وسيدهش استاذ النبات الذي يسكن قريباً من هنا. تعرفينه جيداً، اليس كذلك؟ اذا ذهبت الى الحديقة في المرة القادمة، اخبري احدى الزهرات ان حفلة راقصة كبرى ستقام في القلعة، «عند ذلك ستخبر تلك الزهرة الزهرات الاخريات جميعاً، وسوف يطرن الى القلعة باسرع مايمكن. وعندما يدخل الاستاذ حديقته، فانه لن يجد زهرة واحدة وسوف يتساءل ماذا حل بها؟.

-ولكن كيف يمكن لزهرة ان تخبر اخرى؟ اذ ليس بوسع الزهور ان تتكلم.

فرد عليها الطالب قائلاً: لاريب في ذلك، ولكنها تستطيع الايماء. ألم تري ذلك كثيراً انها عندما تهب الرياح تومىء احداها للاخرى برأسها، ويسمع لاوراقها الخضر حفيف؟.

فسألت آيدا: وهل بوسع الاستاذ ان يفهم الاشارات؟ فاجابها: اجل، يستطيع ذلك بلا ريب. فقد دخل ذات يوم حديقته ورأى زهرة قريص لاسع تشير باوراقها الى قرنفلة حمراء جميلة. وتقول لها: «انت رائعة الحسن، واني احبك كثيرا». ولكن الاستاذ لم يستحسن هذا الكلام وعدّه هراء فصفع القريص لمنعه من الكلام. فلسعته اوراقها، التي هي بمثابة اصابعها، لسعاً حاداً ولم يجازف منذ ذلك الحين ان يمس نبتة قريص.

فقالت آيدا ضاحكة: ما أغرب هذا!

فقال محام مضجر جاء للزيارة: كيف يمكن للمرء ان يحشو رأس طفل بمثل هذه الافكار الغريبة.

لم يكن المحامي يحب الطالب فقدْ كان يذمدم عندما يـراه يقص صوراً مضحكة او مسلية. فقد تكون احياناً لرجل معلق من مشنقة وهو يمسك قلباً بيده كأنه سارق قلوب. وقد تكون احياناً اخرى لساحرة عجوز تطير فـي الهواء راكبة مكنسة وتحمل زوجها على انفها. لم يكن المحامي تعجبه مثل هذا النكات، ويقول كما قال تواً: كيف يمكن للمرء ان يحشو رأس طفل بمثل هذه السخافات؟ يالها من اوهام غـير معقولـه! غير ان هـذه القصص التي كان يرويها الطالب لآيدا الصغيرة عن الزهور كانت تبدو لها فـي غاية الامتاع والتسلية وتظل تفكر بها كثيراً. فقد كانت الزهور تتدلى رؤوسها حقاً، لانها كانت ترقص طوال الليل واصابها الاعيـاء ولعلها كانت مريضة. فاخذتها الى حجرة صُف فيها عدد من الدمى على منضدة صغيـرة جميلة وكان درج المنضـدة مليئاً بـاشيـاء جميلة وكـانت دميتهـا «صوفـي» ترقد فـي سريرها فقالت لها آيدا الصغيرة: «لابد ان تنهضي ياصوفـي وتكتفـي بالتوم فـي الدرج هذه الليلة، لان الزهور مـريضة فيجب ان ترقد فـي فراشك. ولعلها تتحسن بعد ذلـك». فاخـرجت الدمية التي بدت منزعجة ولم تفه بكلمة واحدة، لانّها كـانت مغتاضـة لاخراجها من فراشها. وضعت آيدا الزهور فـي فراش الدمية وغطتها باللحاف. وطلبت اليها ان تخلد الى الهدوء وتكون طيبة حتى تعد لها شيئاً من الشاي، لكي تتحسن حالها وتقدر على النهوض فـي صبـاح اليوم التالي. واحكمت الستائر حول السرير الصغير لئلا تشرق الشمس فـي عيونها. ولم يكن لها مفـر، طوال المسـاء، من التفكير فـي مـا قال لهـا الطالب. وقبل ان تأوي الى فراشها، اختلست النظر من وراء الستائر الى

الحديقة حيث تنمو زهور والدتها ـ من زعفران وزهرات ياقوتية وكثير غير ذلك. ثم همست لهن بصوت خفيض: «انا ادرى انكن ستذهبن الى الحفلة الراقصة مساء اليوم».

ولكن لم يبد على الزهور انها فهمت قولها، فلم تتحرك منها ورقة واحدة، غير ان آيدا موقنة كل اليقين انها تعرف كل شيء عن الحفلة الراقصة وظلت مستيقظة في فراشها مدة طويلة، وهي تفكر في مدى الروعة لدى مشاهدة كل الزهور الجميلة ترقص في حديقة الملك وقالت تحدث نفسها: «أترى ازهاري كانت هناك؟» ثم استغرقت في نومها.

واستيقظت اثناء الليل من حلم عن الزهور والطالب والمحامي المزعج الذي عاب على الطالب عمله. كان الهدوء شاملاً في غرفة نوم آيدا والمصباح يضيء على المنضدة وابوها وامها يغطان في نومهما وفكرت آيدا في نفسها: «أترى زهوري ماتزال في فراش صوفي. اني لشديدة الشوق الى معرفة ذلك!» ثم نهضت قليلا ونظرت الى باب الغرفة الموارب حيث كانت زهورها ولعبها واصاخت سمعها، وبدا لها كأن شخصاً في الغرفة يعزف على البيانو، ولكن العزف كان رفيقاً خفيضاً واعذب مما سمعت قبل هذا وفكرت في نفسها لاريب ان ازهاري كلها ترقص الآن. ما اشد لهفتي لرؤيتها!» ولكن لم تواتها الجرأة على الحركة خشية ان توقظ اباها وامها. وواصلت تفكيرها: الا ليتها تأتي هنا!» بيد انها لم تأتِ وواصل العزف رائعاً، بديعاً فلم تتمالك نفسها فتسللت من سريرها الصغير، وسارت الى الباب خفيفة الوطء ونظرت في الغرفة.

وما اروع المنظر الذي رأت! لم يكن مصباح الليل منيراً، ولكن الغرفة بدت مضيئة، لان القمر اشرق خلال النافذة والقى ضوءه على الارض، وانار كل شيء كالنهار. ووقفت الخزامى والزهور الياقوتية في صفوف

طويلة فـي الغرفة ولم تبق زهرة فـي النافذة وخلت منها المزهريات جميعاً. كانت الزهور ترقص رقصاً رشيقاً على ارض الغرفة، وهي تدور تمسك احداها اوراق الاخرى الخضر. وجلست الى البيانو زنبقة صفراء رشيقة، لاريب ان آيدا الصغيرة رأتها فـي الصيف، لانها تذكرت الطالب يقول انها كانت تشبه الآنسة لينا، احدى صديقات آيدا. ضحك الجميع من قوله ذاك، ولكنه بدا لآيدا الآن كأن الزهرة الصفراء تشبه الفتاة اليانعة حقاً، اذ لها طريقتها عينها فـي العزف وهي تدير وجهها الطويل من ناحية الى اخرى، وتوميء برأسها على انغام الموسيقى الرائعة.

ورأت زعفرانة ارجـوانية كبيـرة تقفز الى وسط المنضـدة حيث تنتصب اللعب، وصعدت الى سرير الدمية وفتحت الستائر. وقد كانت الزهور المريضة مستلقية، ولكن الزهور نهضت وأومأت للاخريات انها تود ان تـرقص معهن. ونهضت الدميـة العجوز ذات الفم المكسـور وانحنت للزهور الجميلة التي لم تكن تبدو عليلة الآن، ولكنها كانت تتواثب مرحة، وبالرغم من ذلك كله لم تنتبه اي واحدة منهن الى آيدا الصغيرة. وبدا كأن شيئاً سقط من المنضدة فوجهت نظرها الى تلك الناحية ورأت صولجان مهرجان رشيقاً ينزل واثباً بين الزهور كأنه منهن. كان ناعماً املس، وعلى رأسه دمية شمعية صغيرة تعتمر قبعة عريضة الحافة كتلك التي يلبسها المحامي. وراح الصولجان يتواثب بين الزهور على اقدامه الخشبية الحمر الثلاث، ويضرب الارض بقوة لها صوت عالٍ عندما يرقص المازوركا. لم يكن بوسع الزهور مجاراته فـي عمل ذلك ـ فقد كانت خفيفة جداً لايمكنها ضرب الارض كما يضربها الصولجان.

وبدت دمية الشمع على عصا المهرجان تكبر بغتة وتطول قامتها ودارت حول نفسها وخاطبت الزهور قائلة: «كيف يمكنكن حشو رأس طفلة بمثل هذه الامور؟ انها اوهام سخيفة» وبدت الدمية كالمحامي بقبعته العريضة الحافة، شاحبة، مغتاظة، مثله تماماً، غير ان الدمية الفظة ضربتها على ارجلها النحيلة فتقلصت ثانية. وعادت دمية شمعية صغيرة. كان المنظر ممتعاً فلم تتمالك آيدا نفسها من الضحك. وواصل الصولجان رقصه، واضطر المحامي اي دمية الصولجان على الرقص ايضاً، ولا فرق لديه سواء أكان عظيماً طويلاً، ام ظل دمية شمعية صغيرة ذات قبعة سوداء كبيرة، لابد ان يرقص، واخيراً تشفعت بعض الزهور من اجله وخصوصاً تلك التي استلقت في فراش الدمية، فكف الصولجان عن الرقص. وسمع في تلك اللحظة طرق عال في الدُرج، حيث كانت صوفي، دمية آيدا، مستلقية مع كثير من اللعب الاخرى، ثم راحت الدمية الفظة تجري الى نهاية المنضدة، وانبطحت عليها وصارت تسحب الدرج الى الخارج قليلاً.

رفعت صوفي نفسها قليلاً وتلفتت حولها مندهشة وقالت: لابد ان حفلة راقصة ستقام الليلة هنا، فلماذا لم يخبرني احد بذلك؟.

فقالت الدمية الفظة: اترقصين معي؟.

فادارت لها ظهرها وقالت: لاريب انك جديرة بمراقصتي.

ثم جلست على حافة الدرج وفكرت لعل واحدة من الزهور ستسألها لمراقصتها، ولكن لم تتقدم اليها اية واحدة. ثم تنحنحت: «احم، احم، احم» ولكن لم يأتها احد بالرغم من ذلك. وراحت الدمية الرثة الملبس ترقص وحدها، رقصاً لم يكن سيئاً ابداً ولما لم يبد على احد من الزهور انه انتبه الى صوفي، فانها القت نفسها من الدرج الى الارض، لتثير جلبة

عظيمة. فتجمهرت الزهور جميعاً حولها وسألتها هل اصبتن بسوء، وخصوصاً تلك التي كانت راقدة في فراشها، ولكنها لم تصب بأذى قط، وشكرتها زهور آيدا على الفراش الوثير الذي رقدن فيه وأبدين لها لطفاً جماً. واقتدنها الى وسط الغرفة حيث شعاع القمر، ورقصن معها، وشكلت الزهور الاخرى حلقة حولهن. فغمرت السعادة صوفي وقالت لهن يمكن لكنَّ ان تحتفظن بفراشي. ولم يكن يضيرها مطلقاً ان تنام في الدرج. فشكرتها الزهور شكراً جزيلاً وقلن لها: اننا لايمكن ان نعيش طويلاً. فغدا صباحاً سوف نموت، وما عليك الا ان تخبري آيدا الصغيرة ان تدفننا في الحديقة، قرب ضريح الكناري. وفي الصيف سننهض مرة اخرى اجمل من ذي قبل فقالت صوفي وهي تقبل الزهور: كلا، يجب الا تمتن! ثم فتح باب الغرفة ودخلت مجموعة من الزهور راقصات ولم يكن في وسع آيدا ان تتصور من أين اقبلن، سوى انهن قد جئن من حديقة الملك. دخلت اولاً وردتان جميلتان وعلى رأسيهما تاجان من الذهب، انهما الملك والملكة. ثم تبعتهما زهور المنثور والقرنفل البديعة وهي تحني رؤوسها لكل الحاضرين. وكانت تصحبها الموسيقى. فتعزف شقائق النعمان الكبيرة والفاونيا نافخة في ابواق قشور البازلاء حتى تحمر وجوهها. وكانت اجواق الزعفران الياقوتي الازرق والنرجس الثلجي الصغير تجلجل بنواقيسها، كأنها اجراس حقيقية ثم جاءت زهور كثيرة: بنفسج ازرق، وزهور ثالوث برية ارجوانية واقحوان، وزنابق الوادي، كلها ترقص معاً وتقبل احداها الاخرى. منظر فاتن حقاً.

واخيراً، تمنت كل زهرة ليلة سعيدة للزهرة الاخرى. وعادت آيدا الصغيرة متسللة الى فراشها، وحلمت بكل ما رأت وعندما استيقظت

في الصباح اسرعت الى المنضدة لترى ان كانت الزهور ماتزال في موضعها. نحتّ ستائر السرير الصغير جانباً، فرأتها كلها مستلقية هناك ولكنها اشد ذبولاً مما كانت امس. وصوفي مستلقية في الدرج حيث وضعتها آيدا ولكن النعاس قد استولى عليها. فسألتها آيدا الصغيرة «اتذكرين ما اوصتك الزهور ان تخبريني؟» ولكن صوفي بدت كالبلهاء ولم تنطق بكلمة.

فقالت آيدا: انت لست طيبة بالرغم من انها جميعاً رقصت معك.

ثم تناولت علبة ورقية صغيرة مرسوم عليها طيور جميلة ووضعت الزهور الميتة فيها.

وقالت: سيكون هذا نعشاً جميلاً لكُنّ، وعما قريب سيساعدني ابناء عمومتي عندما يفدون الى زيارتي لكي او اريكن في الحديقة، حيث ستخرجن في الصيف القادم، ابهى من ذي قبل.

كان جيمز وادولف، إبنا عمها، ولدين دمثين اعطى والدهما كلاً منهما قوساً ونشاباً، أتيا بهما الى ايدا لتراهما. واخبرتهما عن الزهور المسكينة التي ماتت، فخفّا بالذهاب معها لدفن الزهور. سار الولدان في المقدمة وقوساهما على كتفيهما، وتبعتهما آيدا حاملة العلبة الجميلة التي تضم الزهور الميتة حفروا قبراً صغيراً في الحديقة وقبلت آيدا زهورها ثم وضعتها وهي في علبتها في الارض، ثم اطلق جيمز وادولف نشابيهما فوق القبر، اذ لم يكونا يمتلكان بندقية او مدفعاً.

الحذاء الأحمر



كان في قديم الزمان بنت صغيرة، رقيقة، تمشي حافية في الصيف بسبب فقرها المدقع. اما في الشتاء فكانت تنتعل حذاء ثقيلاً من الخشب، وقد حك كاحليها فتقرحا.

وكانت امرأة عجوز تصنع الاحذية تعيش في وسط القرية صنعت حذاء صغيراً مما كان لديها من قطع قماش احمر. ولم يكن الحذاء متقناً ولكن القصد من صنعه كان نبيلاً، اذ انها ستعطيه الى البنت الصغيرة التي اسمها كارين. واعطي الحذاء لها ولبسته اول مرة في يوم دفن

والدتها ولم يكن الحذاء ملائـماً لمناسبـة الحداد الحـزينة، ولكنهـا لم تكن لتمتلك غيره ومشت به عارية الساقين وراء النعش البائس من خشب الصنوبر ومرت عندئذ عربة قديمة كبيرة تجلس فيها سيدة عجوز نظرت الى الطفلة الصغيرة وشعرت بالاسى الشديد عليها، وقالت للقس: اعطني الطفلة، وسأرعاها خير رعاية واكون رحيمة بها.

ظنت كارين ان ذلك بسبب الحذاء الاحمر، ولكن العجوز قالت انه بشع فاحرقته. وعاشت كارين عيشة مرفهة ولبست ملابس فاخرة وتعلمت القراءة والخياطة. وقال الناس انها لطيفة ولكن مرآتها قالت: انت اكثر من لطيفة، انك جميلة.

خرجت الملكة فـي ذلك الحين فـي رحلة تجـوب البلاد وكـانت ابنتها الاميرة الصغيرة فـي صحبتها. وتجمهر الناس، وبينهم كارين، حول القصر الذي نزلتا فيه ليلقوا نظرة عليهما. وقفت الاميرة الصغيرة فـي الشباك لكي يروها. لم تكن ترفل فـي ثوب طويل تجر اذياله ولاتضع تاجاً ذهبياً، بل ترتدي حلة بيضاء وحذاء من الجلد المراكشي الاحمر، عـلى نقيض الحذاء الذي صنعته العجوز لكارين. لم يكن فـي الدنيـا كلها حذاء يمكن ان يقارن بهذا الحذاء الاحمر.

وكبرت كارين وأزف موعد تثبيت عمادها. ارتدت ملابس جديدة وحذاء جديداً ايضاً. وكان على صانع الاحذية الثري فـي المدينة ان يقيس طول قدمها الصغيرة. وكان حانوته مليئاً بالخزانات الزجاجية،عـرضت فيها احذية بديعة واخرى عالية الساق لامعة الجلد. ولم يكن لدى السيـدة العجوز رغبة فـي التملي بها بالرغم من جمالها فقد كانت ضعيفة البصر. وكان بين الاحذية حذاء احمر كالحذاء الذي لبسته الاميرة. ما كان ابدعه!

وقال لهما صانع الاحذية انه صنعه لابنة الامير ولكنه لم يناسبهـا فقالت السيدة العجوز: اظنه من جلد لماع صقيل. وايدتها كارين قائلة: «اجل انه لماع» وحاولت تجربته. وقد وافق قدميها فاشترته لها السيدة العجوز التي لم تكن لديها ادنى فكرة عن لونه الاحمر، والا لما سمحت لكارين ان تلبسه فـي يوم تثبيت تعميـدها. ولكن كـارين لبسته، وطفق الجميـع ينظرون الى قدميها، وظنت، وهي تمشي فـي الكنيسة نحو الهيكل، ان الصور القديمة ورسوم الكهنة الموتى وزوجاتهم بياخاتهم الصلبة وارديتهم السود الطويلة، قد شخصت بابصارها نحو حذائها. ولم نفكر بشيء آخر عندما وضع القس يده على رأسها وحدثها عن التعميد المقدس وعهدها لله، وانها ســتـكــون

من الآن فصاعداً شخصاً مؤمناً مسؤولاً. وترددت انغام الارغن المهيبة، وانشد الاطفال باصواتهم العذبة وصاحبهم فـي نشيدهم قائد الجـوقة العجوز، غير ان كارين لم تفكر بغير حذائها الاحمر وعند حلول العصر اخبر الناس فـي كل مكان السيدة العجوز ان حذاء كارين احمر، فقالت: هذا امرٌ سيء وغير لائق. وامرت كارين ان تلبس حذاء اسود كلما ازمعت الذهاب الى الكنيسة، حتى ولو كان ذلك الحذاء قديماً. وكان فـي يوم الاحد التالي تناول العشاء الرباني، وكان على كارين تناولـه اول مرة. نظرت الى حذائها الاسود ثم الى حذائها الاحمر، ثم عادت تنظر الى الاحمر واخيراً قررت ان تلبسه.

كان الطقس بديعاً مشمساً سلكت كارين والسيدة العجوز الطريق الذي يخترق حقل الحنطة، وكان كثير الغبار. وعند باب الكنيسة وقف جندي عجوزٌ يستعين بعكاز، له لحية طويلة غريبة الشكل. لونها ضارب الى

الحمرة اكثر من البياض - بل هي في الحقيقة حمراء تقريباً. انحنى الى الارض وسأل السيدة العجوز ان كانت ترغب في تنظيف حذائها من الغبار. ومدت كارين قدمها الصغيرة ايضاً. فقال الجندي: «ما اجمل حذاء الرقص هذا! تشبثي به قوياً وانت ترقصين». وضرب النعل بيده وهو يكلمها. ونفحت السيدة العجوز الجندي قطعة نقد نحاسية ودخلت الكنيسة مع كارين. ونظر الناس جميعاً في الكنيسة الى حذاء كارين الاحمر، ونظرت الصور كلها اليه ايضاً. وعندما ركعت كارين عند الهيكل وقربت الكأس من شفتيها، لم تفكر الا بحذائها الاحمر، الذي تخايل امام عينيها، ونسيت ان تشترك في انشودة الثناء وسهت عن تلاوة الصلاة.

وغادر الناس الكنيسة وركبت السيدة العجوز في عربتها. ورفعت كارين قدمها لتدخل بعدها، غير ان الجندي العجوز، الذي كان مايزال واقفاً في مكانه، هتف قائلاً: ما اجمل حذاء الرقص هذا!.

ولم تتمالك كارين نفسها من الرقص بضع خطوات. وما ان بدأت حتى واصلت قدماها الرقص كأنهما صارا تحت سلطان الحذاء. فراحت ترقص حول الكنيسة. ولم تستطع ان تتوقف فتحتم على الحوذي ان يركض وراءها ويمسك بها ويرفعها الى العربة، بيد ان قدميها بقيتا ترقصان، فرفست السيدة العجوز رفسة مروعة. واخيراً خلعوا الحذاء فارتاحت قدماها قليلاً.

وعندما بلغوا البيت وضع الحذاء في صوان (خزانة) ولم تتمالك كارين نفسها من الذهاب لالقاء نظرة عليه.

مرضت السيدة العجوز مرضاً شديداً. وقيل انها لن تعيش. ولابد من تمريضها والعناية بها. ولم يكن احد اقرب من كارين يتولى امر رعايتها،

غير انها كانت مدعوة الى حفلة راقصة كبرى في المدينة. فنظرت الى السيدة العجوز التي كانت على شفا هاوية من الموت، ثم نظرت الى الحذاء الاحمر ـ وفكرت في نفسها انه لاضير في ذلك، فلبست الحذاء الاحمر ـ الذي فكرت في لبسه كثيراً ـ ثم ذهبت الى الحفلة الراقصة وبدأت ترقص، ولكن الحذاء لم يسمح لها ان تفعل ماتشاء، فاذا ارادت ان تتجه يميناً رقص الحذاء بها شمالاً، واذا شاءت ان ترقص الى صدر البهو عاد الحذاء بها راقصاً الى الخلف، ثم نزل بها السلم مخترقاً الشوارع وخرج بها من باب المدينة. وظلت ترقص بعيداً، بعيداً، حتى دخلت الغابة المظلمة. واشرق شيء فوق الاشجار، وحسبت انه القمر، فقد رأت وجهاً، غير انه كان الجندي العجوز بلحيته الحمراء. فاومأ برأسه وقال: ما اجمل حذاء الرقص هذا! ارعبها ذلك كثيراً وارادت ان تخلع الحذاء الاحمر، غير انه كان ملتصقاً. فخرقت جواربها، ولكن الحذاء ازداد التصاقاً بقدميها ومضت ترقص فوق الحقول والمروج، في المطر وفي الشمس، في الليل وفي النهار، ولكن الليل كان مرعباً.

راحت ترقص في المقبرة حيث فناء الكنيسة المكشوف، ولكن الموتى لم يشاركوها رقصها، فقد كانوا مشغولين بأمر أهم. وارادت ان تستريح على قبر فقير حيث نمت نباتات الشيح المر، لكنها لم تحظ بالراحة او الاستقرار.

فمضت ترقص نحو باب الكنيسة المفتوح ورأت ملاكاً يقف هناك في اردية بيض طويلة وجناحين من كتفيه يبلغان الارض. كان وقوراً متجهماً، يحمل في يده سيفاً عريضاً متألقاً.

فقال لها: ستظلين ترقصين! سترقصين في حذائك الاحمر حتى تكوني شاحبة، باردة، حتى يتغضن جلدك وتصبحي هيكلاً عظمياً! ستظلين

ترقصين من باب الى باب، وحيثما يوجد اطفال مزهوون مختالون، اطرقي الباب لكي يروك ويرتعبوا منك اجل، ستظلين ترقصين.

فصرخت كارين! «رحماك!» غير انها لم تسمع جواب الملاك لان الحذاء حملها من الباب الى الحقول، على الطرق والدروب، مجبرة على الرقص دائماً وابداً.

وذات صباح مرت ترقص بباب تعرفه خير معرفة. سمعت صوت ترتيل في الداخل، وحملوا نعشاً مغطى بالورود الى الخارج فعلمت كارين ان السيدة العجوز ماتت، وتبين لها ان جميع من في هذه الدنيا نبذها، وصبت عليها ملائكة السماء لعناتها.

وظلت ترقص وترقص فقد وجب عليها الرقص حتى في الليالي المدلهمة فحملها الحذاء فوق الاشواك البرية وجذامات الحصاد، حتى تمزقت قدماها ونزفت دماً. ومضت ترقص فوق مرج حتى بلغت بيتاً صغيراً منعزلاً، تعرف ان الجلاد يسكنه. فنقرت باصابعها زجاج النافذة ونادت: اخرج! اخرج! فاني لااستطيع الدخول لانني ارقص!.

فسألها الجلاد: الا تعرفين من أنا؟ انا اقطع رؤوس الاشرار من الناس وها اني ارى طبري يرتعش.

فذعرت كارين وصاحت: لاتقطع رأسي لانني لن اتمكن ان اتوب عن ذنوبي، فارجوك وابتهل اليك ان تبتر قدمي مع الحذاء الاحمر. وباحت له بكل خطاياها، فبتر الجلاد قدميها مع الحذاء الاحمر الذي مضى يرقص بالقدمين الصغيرتين الى اعماق الغابة.

وصنع لها قدمين من خشب وعكازين وعلمها تسبيحة يرتلها النادمون

دوماً. وقبّلت اليد التي استخدمت الطبر ومضت سائرة في المرج. وقالت: «لقد عانيت كثيراً من هذا الحذاء وساذهب الى الكنيسة لكي يراني الناس». وسارت باقصى ماتستطيع من سرعة نحو باب الكنيسة. وما ان وصلته حتى رأت الحذاء الاحمر يرقص امامها. فذعرت وعادت الى البيت.

وشعرت بالحزن الشديد طوال الاسبوع، وذرفت دموعاً مرة، ولكنها قالت عندما جاء يوم الاحد: لقد عانيت مافيه الكفاية: واحسب اني طيبة مثل كثير من الناس الذين يجلسون في الكنيسة رافعي رؤوسهم. وذهبت تمشي في كثير من الجرأة، بيد انها لم تكد تصل باب الكنيسة حتى رأت الحذاء الاحمر يرقص امامها. فذعرت ذعراً لم تعرف مثله سابقاً وعادت من حيث اتت والندم الحقيقي يغمر قلبها. فذهبت الى بيت القس وتضرعت اليه ان يقبلها في خدمته. وستعمل بلا كلل بكل ما اوتيت من قوة ولم تكن تأبه لأجر يقدم لها، سوى سقف تستكن تحته واناس رحماء تعيش بينهم فرثت زوجة القس لحالها واستخدمتها لديها. ولم تخيب كارين ظنهم في كدها واهتمامها. وصارت تجلس هادئة، مصغية في المساء، عندما يقرأ القس في الكتاب المقدس. واحبها الصغار جميعاً. لكنها كانت تهز رأسها حين يثرثرن بشأن الحلي والملابس وكونهن حسان كالملكة

وفي يوم الاحد ذهب الجميع الى الكنيسة، وسألوها ان تذهب معهم فبدا الحزن عليها والدموع في عينيها وهي تنظر الى عكازيها. وخرجوا من دونها، وظلت وحدها في حجرتها الصغيرة التي لاتتسع الا لسرير وكرسي فقط، جلست فيها وفي يدها كتاب الصلاة الذي راحت تقرأ فيه خاشعة الفؤاد فتناهت الى سمعها انغام الارغن تحملها الريح من

الكنيسة فرفعت وجهها المخضل بالدموع وقالت: اعني ياربي!.
فتألقت الشمس حولها بهية ووقف امامها الملاك بثيابه البيض، ذلك الملاك الذي رأته واقفاً لدى باب الكنيسة. ولم يعد السيف الحاد في يده، بل غصن اخضر تغطيه الورود. مس الملاك السقف به فارتفع عالياً. وظهرت نجمة ذهبية في المكان الذي مسه فيه. ثم مس الجدران فاتسعت، ورأت البنت الارغن وسمعته. وشاهدت صور القسس الشيوخ وزوجاتهم، والحشد جميعاً جالسين في مقاعدهم يرتلون الاناشيد عالياً، لان الكنيسة نفسها جاءت الى الطفلة الصغيرة في حجرتها الضيقة، وإلا لأخذت الصغيرة اليها، فوجدت نفسها جالسة على مصطبة مع اهل بيت القس. وعندما انتهت التراتيل رفعوا انظارهم اليها واومأوا اليها برؤوسهم وقالوا: احسنت ياكارين بمجيئك! فقالت: انه برحمة من الله!.
وعلا صوت الارغن وترددت اصوات عذبة بين انغام جوقة المرتلين. وانهمرت اشعة الشمس الدافئة ساطعة خلال النافذة على المقعد الذي تجلس فيه كارين فافعم قلبها بالاشراق والسلام والبهجة حتى انفطر وحلقت روحها مع شعاع الشمس الى السماء حيث لم يسأل احد عن الحذاء الاحمر.

البطيطة القبيحة



حل الصيف وغدا الريف بديعاً رائعاً بالقمح الذهبي والشوفان الاخضر، والتبن المكدس في المروج الغنية بالخضرة حيث يتجول اللقلق على ساقين طويلتين حمراوين ويثرثر بلغة اهل مصر التي علمته امه . وقد احاطت بالحقول والمروج غابات عظيمة في وسطها بحيرات عميقة . اجل، كان الريف بديعاً حقاً . وفي بقعة تغمرها الشمس يقوم بيت عتيق يحيطه خندق عميق، ونمت من جدران البيت اوراق حميّض عظيمة بلغت حافة الماء . كان بعضها طويلاً جداً يمكن ان يقف تحتها طفل

صغير. وبهذا حُجب البيت فغدا كأنه في اعماق غابة. وهناك اتخذت بطة عشاً رقدت فيه على بيضها الذي اوشك ان يفقس، ولكن احتضان البيض انهكها لانه دام طويلاً. ولم يكن يأتيها من الزوار الا قليل لان البط يفضل السباحة في الخندق على التهادي في مشيه والجلوس تحت اوراق الحميض والثرثرة معها. وأخيراً طفق البيض يفقس واحدة بعد أخرى وهي تسقسق بعد ان نقفت الفراخ القشر برؤوسها وخرجت الى الحياة.

ويطبطت الام ثم بطبطت الفراخ باعلى اصواتها وتلفتت الى كل الجهات بين الاوراق الخضر. وسمحت لهم امهم بالنظر قدر ما يشاءون لان الخضرة نافعة للعين.

وقالت الصغار: «ما اوسع الدنيا حقاً». فقد صار لها الآن متسع فسيح للحركة اوسع مما كانت داخل قشور البيض وقالت لهن امهن: اتتصورن ان هذه هي الدنيا كلها؟ انها تمتد بعيداً وراء الجانب الآخر من الحديقة الى حقل القس، بالرغم من انني لم اذهب الى هناك قط. واعتقد انكم هنا جميعاً؟ ثم نهضت ونظرت حولها وقالت: «لا، بل ارى اني لم اتمكم جميعاً! فقد بقيت البيضة الكبيرة لم تفقس لحد الآن فكم يستغرق ذلك؟» ثم عادت الى العش لاحتضانها.

وقالت لها بطة عجوز جاءت تزورها: كيف حالك؟

فاجابتها البطة الراقدة: استغرقت هذه البيضة وقتاً طويلاً. ولن ينقف القشر، ولكن انظري الى الاخريات. انهن اجمل بطيطات أراهنَّ في حياتي. كلهن يشبهن ابيهن الوغد، الذي لم يحضر لرؤيتي فقالت البطة العجوز: دعيني انظر الى البيضة التي لم نفقس تأكدي انها بيضة دجاجة رومية! خدعت مثلك ذات مرة وعانيت متاعب جمة وقلقاً لاحد له بشأن

هذه المخلوقات، لانها كانت تخشى الماء. ولم استطع انزالهن اليه باللين ولا بالتعنيف، لم يجد معهن ذلك نفعاً. دعيني ارى البيضة! اجل، انها بيضة دجاجة رومية. اتركيها وحدها وعلمي الصغار الآخرين السباحة ولكنها قالت: ساحتضنها فترة وجيزة اخرى، فقد احتضنت مدة طويلة ولا ارى بأساً ان ابقى حتى مجيء موسم السوق الخيرية في منتصف الصيف.

فقالت البطة العجوز «كما تشائين» وغادرتها.

واخيراً فقست البيضة الكبيرة وسقسق الفرخ ثم خرج يتقلب. ما اكبره واقبحه! وراحت البطة تتأمله وقالت: هذه بطيطة ضخمة بشعة لاتشبهه واحدة من الأخريات. ايمكن ان يكون فرخ دجاجة رومية؟ حسناً، سنعرف الامر في الحال وسيدخل الماء، حتى ولو اضطررت الى زجه بنفسي.

وكـان الجو في اليوم التالي رائعاً، فقد اشرقت الشمس على اوراق الحميض الخضر جميعاً. ونزلت البطة الام وصغارها كلهم في الخندق. ووثبت في المـاء الـذي تنـاثر رذاذه وراحت تبطبط. فنزلت البطيطات واحـدة اثـر اخرى، وعلا الماء فوق رؤوسها غير انها عادت فارتفعت وطفقت تعوم بشكل بديع. وتحركت سيقانها وحدها وكانت كلها هناك حتى الفرخ الرمادي الضخم القبيح كان يسبح معهن.

فقالت الام: لا، انه ليس فرخاً رومياً. انظروا ما ابدع تحريك ساقيه وما اروع انتصاب جسمه. انه فرخي على اية حال، وليس قبيحاً اذا ما امنعت النظر فيه متأملاً، بط، بط! هيا معي! سأريك الدنيا واخذك الى عالم البط. ولكن عليك الا تبتعد عني ابداً لئلا يطأك احد. وحذارِ من القط! ودخلوا عالم البط وكان الصخب رهيباً فقد كان فرخان يقتتلان من

اجل رأس سمكة انكليس ولكن القط فاز به في النهاية.

فقالت البطة الام وهي تلعق منقارها لانها كانت تشتهي رأس السمكة لنفسها: «هكذا تجري الامور في هذه الدنيا». واردفت تقول: والآن استعملوا سيقانكم، واحسنوا الى البطبطة، واحنوا رقابكم للبطة العجوز التي هناك، فهي انبلنا محتداً، اذ تجري في عروقها دماء اسبانية وهذا دليل مهابتها. ألا ترون خرقة حمراء حول ساقها. انها شيء رائع، بل هي اعظم علامات الامتياز التي يمكن ان تنالها اية بطة، ولايمكن ان تفرطبها ولذلك فهي جديرة بالاعتبار لدى الحيوان والانسان! بطبطوا الآن! ولا تلموا اصابعكم! فالبطيطة المتعلمة تبسط كفيها مثل ما تفعل امها وابوها. اجل، هكذا. والآن احنوا رقابكم وبطبطوا!

وفعلوا ما امروا، غير ان البط الآخر الذي كان حولهم نظر اليهم وقال بصوت عالٍ: «انظروا! هاهي ذي زمرة اخرى تنضم الينا، كأن عددنا قليل. يا ويلتاه! ما اقبح هذه البطبطة! اننا لانطيق احتمالها» ثم طارت بطة نحوه في الحال ونقرته في رقبته.

فقالت الام: اتركيه، فهو لم يضر احداً.

فردت عليها البطة التي نقرته: لعله لم يفعل ذلك، ولكنه بشع المنظر غريب الخلقة ولابد من ضربه.

وقالت البطة العجوز ذات الخرقة حول ساقها: اطفال هذه الام كلهم وسيم ماعدا واحداً غير لطيف. ومما يؤسف له انه غير ممكن اعادة خلقه

فقالت الام: «اجل، ياصاحبة السمو، لايمكن ذلك. فان كان غير وسيم، فانه طيب غاية الطيبة، وهو يسبح سباحة جميلة كالآخرين. واني لعلى يقين انه سوف يتحسن ولربما يصبح اصغر في الوقت المناسب،

فقد مكث وقتاً اطول في البيضة، لذلك لم يخرج بهيئة حسنة». وربتت رقبته ومسدت جسمه ثم اضافت قائلة: وفضلاً عن ذلك فانه ذكر، ولذا فان الامر لايهم كثيراً. واني اعتقد انه سيغدو قوياً، ويشق طريقه في هذه الدنيا فقالت البطة العجوز: البطيطات الاخرى جميلة جداً. وعلى اية حال، القوا الكلفة جانباً، واذا ما وجدتم رأس سمكة انكليس فاحضروه اليّ.

ورفعوا الكلفة وشعروا كأنهم في بيتهم، غير ان البطيطة المسكينة التي كانت آخر من خرج من قشرة البيضة، وكانت قبيحة جداً، نقرها البط والدجاج الذي قال: «انه ضخم جداً» اما الديك الرومي، الذي ولد وفي رجليه شوكتان فظن نفسه امبراطوراً، فقد نفخ نفسه كسفينة ناشرة شراعها، وتقدم نحو الفرخ وراح يكركر ويكركر حتى احمر وجهه. وكاد الفرخ المسكين يفقد صوابه، ولم يدر اي سبيل يتخذ فقد اصابه اليأس بسبب قبحه الشديد وطرد البط جميعاً له.

وهكذا مضى اليوم الاول، ثم ساءت الامور بعد ذلك سوءاً على سوء. فقد اخذ الجميع يطارده ويدفعه، حتى اخوته واخواته جاروا عليه، وظلوا يقولون له «عسى ان ياكلك القط ايها البشع!». وحتى امه قالت: «اتمنى من الله لو كنت بعيداً جداً!» وعضته البطات ونقرته الدجاجات، ورفسته البنت التي تطعمهن ففر وطار فوق سياج النباتات الواطئة، ففزعت الطيور الصغيرة وحلقت في الجو. فقالت البطيطة المسكينة في نفسها وهي مغمغمة «ذلك لانني شديدة القبح». ثم راح يواصل الجري على كل حال حتى بلغ هوراً عظيماً يعيش فيه بط بري. وكان متعباً، شقياً، بات ليله كله هناك. وفي الصباح طار البط البري ليرى امر رفيقهم الجديد، وسألوه يستعلمون: «اي نوع من المخلوقات

انت؟» وكانت البطيطة تلتفت من جانب الى آخر تحييهم احسن تحية، ولكن البط البري قال له: «انت قبيح، مرعب، ولكن الامر لايعنينا ما دمت لاتتزوج من عائلتنا.» ياللمسكين! انه لم يفكر في الزواج، بل كل ما كان يبغيه هو ان يسمح له بالاستلقاء بين القصب وشرب قليل من ماء الهور.

ومكث يومين كاملين، ثم اقبلت اوزتان بريتان او بالاحرى ذكران لم يفقسا قبل وقت طويل لذا تجدهما سليطين، وقحين.

فقالا له: انك قبيح جداً مما جعلنا نحبك ونغرم بك! أفلا ترافقنا وتكون طيراً مهاجراً معنا؟ غير بعيد من هنا هور آخر فيه بعض الاوز البري الفاتن، بل هن فتيات حسان يمكنك ان تنتهز فرصتك بينهن.

وفي تلك اللحظة سمع في الاعالي صوت اطلاقتين، فسقطت على اثرهما الوزتان ميتتين بين نباتات البردي، واصطبغ الماء بلون الدم الاحمر. ودوت البنادق مرة اخرى فطارت اسراب الوز البري من القصب ثم انهمر وابل من الرصاص عليها مرة اخرى، من صيادين كامنين لها حول الهور حيث جاءوا في حملة صيد كبرى. وجلس بعضهم على اغصان الاشجار المتدلية فوق الماء. وارتفع الدخان الازرق كالسحب بين الاشجار الداكنة ثم اجتاح البركة.

وراحت الكلاب تخوض في ماء الهور بحثاً عن الطرائد، ويسمع صوت خوضها الذي جعل القصب والبردي ينحني تحت وطئها في كل جانب وارتعب الفرخ رعباً شديداً. فلوى رقبته ليضم رأسه تحت جناحه، ولكن ظهر الى جانبه في تلك اللحظة. كلب ضخم مخيف وقد تدلى لسانه من فمه وتقدح عيناه بالشر. وفغرفاه العميق قريباً من الفرخ وكشر عن انيابه الحادة، وخبط الماء مواصلاً جريه دون ان يمسه.

فتنهد الفرخ وقال: حمداً لله! انني شديد القبح حتى الكلب يأبى ان يعضني!.

ثم رقد هادئاً وقد كانت الطلقات تئز بين الشجيرات يتلو بعضها بعضاً وهي تمزق الجو. ولم يجرؤ الفرخ المسكين ان ينهض حتى بعد مضي النهار الى آخره، ولكنه انتظر ساعات اخرى قبل ان يتلفت حوله، ثم لاذ بالفرار باسرع مايستطيع وصار يجري عبر الحقول والمروج، ويجد صعوبة في شق طريقه امام ريح عاتية.

وبلغ عند المساء كوخاً صغيراً بائساً لايعلم الى اي جهة يتداعى فظل قائماً. واشتد عصف الريح حول الفرخ فاضطر الى الجلوس على ذنبه ليقاومها، وهي تشتد عصفاً، ثم رأى الباب يسقط من احدى مفاصله ويتعلق مائلاً فاستطاع الدخول من خلال الشق الى البيت والاتجاه الى الحجرة، حيث تعيش امرأة عجوز وقطها ودجاجتها. وكان القط الذي تدعوه «ابني» يقوس ظهره ويبعث هريراً واذا ما مسدت فراءه بالاتجاه المغلوط فانه يرسل شرراً كهربائياً. وكان للدجاجة ساقين قصيرتين لذلك كانت تدعـوها «الفرخة القصيرة الساقين»، ولكنها كانت تبيض بيضاً ممتازاً وتحبها العجوز حباً جماً كأنها ابنتها الصغيرة.

وفي الصباح اكتشفوا الفرخ الغريب فوراً وراح القط يموء والدجاجة تقوقيء.

فقالت المرأة العجوز وهي تتلفت حولها: ماهذا الذي يجري؟ ولم يكن بصرها قوياً وظنت ان الفرخ بطة سمينة هاربة فقالت: هذه لقُية رائعة: ساحصل منها على بيض بط - ان لم تكن ذكراً. وما علينا الا الانتظار ورؤية النتيجة.

واختبرت الفرخ ثلاثة اسابيع ولكن لم تحصل على بيضة واحدة وكان الهر

رب هذا البيت والـدجـاجة ربته. وكان يقولان دائماً: «نحن والدنيا» لانهما يظنان انهما يمثلان نصف الدنيا، ونصفها الافضل.

واعتقد الفرخ ان من الممكن ان يكون في هذا الامر رأيان، ولكن الهر لم يسمح بسماع رأيه.

ولكن الدجاجة سألته: وهل تستطيع ان تبيض؟

فقال: لا

فقـالت: فكن طيبـاً اذن وصن لسانك وقال الهر: ايمكنك ان تقوس ظهرك وتهر وترسل الشرر فقال: لا.

فرد عليه الهر قائلاً: فما عليك اذن الا الاحتفاظ برأيك عندما يتكلم العقلاء!.

فجلس الفـرخ في ركن من الحجرة يداري سوء طالعه، ثم راح يفكر بالهواء الطلق ونور الشمس وتملكته رغبة عارمة ان يعوم فوق الماء، ولم يكن له مفر من اخبار الدجاجة بذلك.

فسألته: ماذا يتلبسك؟ فانك لاتملك عملاً، وهذا هو سبب النزوات التي تملأ رأسك. فاذا بضت او هررت تغلبت على ذلك.

فرد عليها الفرخ: ولكن العوم على الماء لذيذ، لذيذ ان تشعري به يندفع فوق رأسك عندما تغوصين الى الاسفل.

فقالت الدجاجة مستهزأة: انها تسلية لطيفة! وارى انك جننت. فاسأل الهر عن ذلك. انه اعقل المخلوقات التي اعرفها. اسأله ان كان يحب العـوم على المـاء او الغوص تحته. ولن اقول شيئاً عن نفسي. واسأل سيدتنا العجوز، فليس في الدنيا كلها من هو اعقل منها. اتظن انها ترغب في العوم على الماء او الغوص تحته؟ فاجابها الفرخ: انت لاتفهمينني.

فسألته قائلة: حسناً، اذا كنا لانفهمك، فمن يفهمك إذن؟ ارى انك لاتعدين نفسك اذكى من الهر او المرأة العجوز، ولن اذكر نفسي! فلا تخدع نفسك ايها الصغير واحمد الله على كل خير فعلناه من اجلك الم تسكن في هذه الحجرة الدافئة، وتعش في هذا المجتمع الذي تعلمت منه شيئاً؟ ولكنك ابله، ولا نفع في صحبتك. لك ان تصدقني انني ابغي لك خيراً. واقول لك حقائق صريحة وليس ثمة طريقة افضل من هذه في معـرفـة الصـديق فما عليك الا ان تبيض او تتعلم الهرير او تطلق الشرر. فقال فرخ البط: ارى انني افضل الخروج الى الدنيا الواسعة.

فقالت الدجاجة: فاخرج اذن مهما كلف الامر.

وخرج الفرخ. وعام فوق الماء وغاص تحته، ولكن جميع المخلوقات كانت تنظر اليه شزراً وتستخف به لقبحه، ثم اقبل الخريف واصفرت اوراق الشجر وذوت؛ واخذتها الريح وجعلتها ترقص. وبرد الجو واثقلت الغيوم بالثلج والبَرَد. وجثم غراب اسود على السياج وراح ينعب «غاق، غاق!» من شدة البرد. وكان الفرخ المسكين في حال سيئة حقاً.

وفي ذات مساء شتائي، عندما كانت الشمس تميل الى الغروب في بهاء وروعة، ظهر سرب من الطيور الكبيرة الجميلة من بين الشجيرات، لم ير فرخ البط شيئاً جميلا مثله قبل هذا. كانت ناصعة البياض، ذات رقـاب طويلة ملتـوية. هي بجع؛ اطلق صيحة غريبة ونشر اجنحته العريضة المهيبة وطار من المناطق الباردة الى بلدان ادفأ وبحار اوسع.

حلق البجـع عالياً، عالياً جداً، ولم يعـد الفرخ الصغير القبيح يشعر بالراحة. وصار يدور في الماء مثل العجلة، ويمد عنقه الى الاعلى ناظراً الى البجعات؛ ثم اطلق صرخة حادة، غريبة ارعبته هو نفسه. ولم يتسن له ان ينسى تلك الطيور الجميلة، السعيدة. وما ان اختفت عن الانظار

حتى غاص الى الاسفل، وحينما ارتفع خرج عن طوره، فلم يكن يعرف شيئاً عن هذه الطيور والى اين اتجهت، ولكنه، انجذب اليها اكثر من اي مخلوق آخر رآه قبل هذا. ولم يحسدها قط. فكيف يخطر بباله ان يتمنى ان يكون بمثل هذا الجمال الرائع؟ لو ان البط تحمل وجود هذا المخلوق القبيح المسكين معه، لكان حامداً شاكراً.

وكان الشتاء قارس البرد فاضطر الفرخ ان يسبح في الماء ليمنع تجمده، غير ان الفسحة التي يسبح فيها كانت تضيق وتضيف حتى تجمدت وتشقق وجه الجليد، فكان على الفرخ ان يستخدم ساقيه طوال الوقت لئلا يتجمد الثلج حوله. واخيراً اصابه الانهاك ولم يعد قادراً على الحركة، فتجمد في الجليد.

ومر في الصباح الباكر فلاح ورآه فتقدم فوق الثلج وحفر فيه حفره بحذائه الخشبي وخلص الفرخ وحمله الى زوجته في البيت حيث ما لبث ان عاد اليه النشاط. واراد الاطفال ان يلعبوا معه، غير انه ظن انهم سيقسون عليه، فولى مذعوراً وصار في وعاء الحليب الذي اندلق على ارض الحجرة كلها. فصرخت المرأة ورفعت يديها، فطار الفرخ الى اناء الزبد ثم الى اجانة الطحين، ومنها الى خارج البيت. فتصور شكله عند ذاك! وصرخت المرأة وحاولت ان تضربه بملقط النار. ووقع الاطفال واحداً فوق آخر لدى محاولتهم الامساك به، وراحوا يزعقون ويضحكون. ولحسن الحظ كان الباب مفتوحاً فطار الفرخ بين الشجيرات والثلج الذي سقط حديثاً، ورقد هناك منهكاً.

ومن المحزن ان نسرد كل ما عاناه من بؤس وحرمان خلال الشتاء القاسي. وعندما عادت الشمس تشرق دافئة، كان الفرخ راقداً بين القصب في الهور. وكانت القُبرات تغرد، واقبل الربيع الجميل.

ورفع جناحيه بغتة وراحا يخفقان بقوة اشد من ذي قبل وارتفع عالياً وقبل ان يعرف اين صار، وجد نفسه في حديقة واسعة اشجار تفاحها مثقلة بالزهور والليلق يفوح اريجه، وتتدلى غصونه على ضفاف البحيرة الوعرة. فما أحلى نضرة الربيع! ورأى امامه ثلاث اوزات بيض جميلات يخرجن من اجمة ويتقدمن نحوه؛ وسبحن فوق الماء بخفة ولريشهن حفيف. وعرف الفرخ تلك الطيور الجليلة، فاعتراه غم غريب.

وقال في نفسه: سأطير اليهن، الى تلك الطيور الملكية، وسوف يقطعنني إرباً، لانني تجرأت، انا القبيح، ان اقترب منهن. ولكن لا بأس فاني أفضل ان يقتلنني على ان ينهشني البط او ينقرني الدجاج او تزدريني تلك الدجاجة او اعاني من البؤس الشديد في الشتاء.

فطار الى الماء وسبح نحو الاوزات الجليلات. فرأينه وانطلقن نحوه بريش منفوش. فقال المسكين: اقتلنني!» واحنى رأسه الى الماء وراح ينتظر الموت. ولكن ماذا رأى منعكساً في الماء الشفاف؟ رأى تحته صورته، ولم يعد ذلك الطائر الرمادي الاخرق، القبيح، البشع، بل كان اوزاً! ولا بأس انه ولد بين البط مادام قد خرج من بيضة اوز!

وشعر بالسعادة تغمره بالرغم من البؤس والمحن التي عانى منها لانه غدا الآن قادراً على تقدير حظه السعيد حق قدره، وخصوصاً عندما اقبلت الحسان على تحيته، ورحن يسبحن حوله ويداعبنه بمناقيرهن.

واقبل بعض الاطفال الى الحديقة بحب الذرة وفُتات الخبز يلقونه في الماء. وصاح اصغرهم: «هذه اوزة جديدة!» وهتف الآخرون فرحاً: «اجل، اوزة جديدة جاءت». وصاروا يصفقون ويرقصون، وهم يركضون وراء امهم وابيهم والقوا الخبز في الماء وقالوا جميعاً: «انه اجملهن، فهو فتي ووسيم» وأنحنت الاوزات الكبيرات اجلالاً له.

وشعر بالخجل فاخفى رأسه تحت جناحه. ولم يدر بماذا يفكر وغمرته السعادة ولكن بلا غرور، لان القلب الطيب لايصيبه الغرور ابداً.

وعادت به الذكرى كيف كان موضع ملاحقة وازدراء. وهاهو الآن يسمع الجميع يقولون انه اجمل الطيور الجميلة. واحنت زهور الليلاق غصونها حتى الماء امامه، وارسلت الشمس الساطعة اشعتها دافئة، بهيجة. وجعل ريشه يرسل حفيفاً ورفع رقبته الهيفاء عالياً وقال جذلاً:

«لم احلم بمثل هذه السعادة عندما كنت فرخاً قبيحاً».

الفتاة التي داست رغيف الخبز



احسب انــك سمعت بالفتيــاة التي وطأت رغيف الخبــز لئــلا يتسـخ حذاؤها، وماحل بها من بلاء نتيجة لذلك. كانت طفلة فقيرة متكبرة، متغطرسة، سيئة الطبع منذ اول عهدها، فقد كانت منتهى سعادتها ان تمسـك الـذباب وتقلع اجنحته لتجعل منه حشرات زاحفة. ثم تمسك الجعـلان والخنـافس وتخـزهـا في دبوس، ثم تقرب منها ورقة شجر او قرطـاسـاً وورق الكتـابـة، لكي تتشبث بهـا بارجلهـا، فيسرها ان تراها تتلوى وتتضور جاهدة للخلاص من الدبابيس.

وعند ذلك تقول انكر الصغيرة: هاهو الجعل يقرأ انظر اليه يقلب الورقة!.

وساء طبعها ولم يتحسن كلما كبرت في العمر، غير انها كانت غاية في الحسن والبـراعـة، وتلك كانت بليتها، ولولا ذلك لنالت ضرباً كثيراً لم يصبها شيء منه.

وكـانت امهـا تقول: يحتاج هذا الرأس الى ضرب شديد لكي ينحني. وغـالبـاً ماكنت تطئين مئـزري وانت طفلة. واني اخشى ان تطئي قلبي عندما تكبرين.

وارسلت البنت للعمـل في الـريف لدى بعض الاثـرياء الذين عاملوها كابنتهم والبسوها مثل ثيابها. وزادت حسناً على حسن، وزاد تكبرها ايضاً.

ولمـا انقضت سنـة على وجـودهـا مع اولئك الناس، قالوا لها: لابد ان تذهبي لرؤية والديك، يا انكر الصغيرة فذهبت اليهما ولكن من اجل ان تظهر نفسها فيريان ما بلغته من هيبة. ولما وصلت ابواب المدينة ورأت فتيـانـاً وفتيـات يتحـادثـون حول البركة، وقد جلست امها بينهم ومعها حزمة من حطب احتطبتها من الغابة، انصرفت عنهم. فقد خجلت ان يكـون لغـادة حسناء مثلها ام كهذه العجوز الرثة الثياب التي تحتطب، ولم تشعر بشيء من الندم، فعادت ادراجها غاضبة.

ومضت نصف سنـة اخـرى. فقـالت لها سيدتها: ايتها الصغيرة انكر، لابـد ان تذهبي وتـري والديك العجوزين. خذي هذا الرغيف من خبز الحنطة اليهما. سوف يفرحان برؤيتك.

لبست انكـر افخـر ثيـابهـا وحـذاءهـا الجميل الجديد. ورفعت اذيالها وسـارت تنقـل خطـاهـا باهتمـام حتى تحـافـظ على حذائهـا. نظيفـاً

وجميلاً. ولا لوم عليها في ذلك، بيد انها عندما بلغت الطريق الذي يخترق المستنقع وجدت ان جزءاً كبيراً منه موحل وقد غمرته المياه، فالقت الرغيف في الوحل واتخذت منه موطيء قدم، لتعبر بحذاء جاف. وعندما وقفت وقد وضعت احدى قدميها على الرغيف وهي تحاول رفع القدم الاخرى لتخطو الخطوة الثانية، غاص الرغيف بها اعمق فاعمق حتى اختفت تماماً، ولم يُر منها شيء سوى فقاعات سود.

فماذا جرى لها؟ لقد هبطت الى ملكة المستنقع التي تمتلك مصنعاً لتخمير الشراب هناك. وهي اخت ملك الجن، وعمة بنات الجن المشهورات. وقد كتب الناس عنهن اشعاراً ورسموا صوراً، ولكن كل مايعرفه الناس عن ملكة الهور هو انه عندما يرتفع الضباب فوق المروج في الصيف، تكون هي منهمكة في التخمير. في هذا المصنع للتخمير سقطت انكر الصغيرة، ولايمكن لاحد احتمال البقاء هناك طويلاً، اذ ان عربة الزبال اطيب رائحة من مصنع تخمير ملكة المستنقع. فقد كانت الرائحة المنبعثة من البراميل كافية ان تصيب الناس بالاغماء. وكانت البراميل متقاربة جداً فلا يسع المرء ان يمر من بينها، ولكن اذا كان ثمة منفذ صغير، فانه كان مليئاً بالضفادع الكريهة الرائحة والافاعي القذرة. سقطت انكر الصغيرة بين هذه المخلوقات البشعة. كان البرد قارساً كأنه الثلج فارتعدت من رأسها الى قدميها وتيبست اطرافها. والتصق الرغيف بقوة في قدميها وسحبها الى الاسفل كما يسحب الكهرمان قطعة من القش.

كانت ملكة المستنقع في بيتها. وجاء بوكي العجوز وام جدته لزيارتها. كانت الجدة عجوزاً حقوداً، لايهدأ لها بال. ولاتخرج ابداً.

وتنهمك في عمل المزعجات من الجلد لتضعها في احذية الناس لكي لايجدوا الراحة في لبسها. وتطرز الاكاذيب وتنظم الكلمات التافهة لتثير الشقاق بها. اجل، كان بوسع الجدة العجوز ان تحوك وتطرز باسلوب رائع.

وما ان رأت الصغيرة انكر حتى وضعت نظارتها وحدقت اليها من خلالها وقالت: هذه الفتاة فيها شيء نافع. اود ان اجعل منها ذكرى لزيارتي. وستكون تمثالاً ممتازاً في الرواق الخارجي لبيت ابن حفيدي.

وهكذا قدمت انكر اليها وبهذا وصلت ارض بوكي. والناس لايصلون اليها دائماً بمثل هذه الطريق المباشرة بالرغم من سهولة الوصول اليها بطرق اكثر التواء.

ياله من رواق لاينتهي، يجعل المرء يشعر بالدوار اذا ما نظر الى الوراء او الامام. وكانت تقف عصبة مهانة في انتظار ان يفتح باب الرحمة، ولكنهم قد ينتظرون طويلاً. عناكب عظيمة، بدينة تهرب وتنسج بيوتاً منذ الف عام حول اقدامها كأن هذه الانسجة اصفاد تقيدها او اغلال سلاسل من نحاس تربطها وفضلا عن ذلك، فان في كل نفس قلقاً ابديا،في كل نفس. قلق العذاب. لقد نسي البخيل مفتاح صندوق امواله، وعرف انه تركه في القفل، غير ان الامر يستغرق وقتاً طويلاً لتعداد كل انواع العذاب التي فيه. فقد عانت انكر عذاب الوقوف كالتمثال والرغيف ملتصق بقدميها.

وقالت في نفسها: هذا ماينتج عن محاولة المرء المحافظة على قدميه نظيفتين. انظر، كيف يحملقون فيّ!.

لقد حملقوا فيها فعلاً. والتمعت كل عواطف الشر في عيونهم وتكلموا

دونما كلمات من شفاههم. كان منظرهم رهيباً وفكرت انكر: «لابد ان النظر اليّ مصدر ابتهاج لهم لان وجهي وسيم وملابسي لطيفة». ثم ادارت عينيها لتنظر اليهم، فقد كانت رقبتها متيبسة لاتستطيع الالتفات.

ولكن ما اشد ما اصابها من قذارة في مصنع ملكة المستنقع للتخمير. انها لم تفكر في ذلك قط. فقد تلوثت ملابسها بالوحل وتسللت افعى في شعرها وتدلت على ظهرها. وحملق ضفدع ضخم من جميع طيات ثوبها وهو ينق مثل كلب افطس مصاب بالربو. انه لامر بغيض. وطفقت تواسي نفسها قائلة: ولكن جميع الآخرين يبدون كريهين ايضاً.

وكان الجوع الرهيب الذي شعرت به افظع من اي شيء آخر، فلم يكن بوسعها ان تنحني لتكسر قطعة من الرغيف الذي تقف عليه. لقد تيبس ظهرها وذراعاها ويداها، وغدا جسمها كله مثل عمود من حجر. كان بوسعها ان تدير عينيها في محجريهما لكي تنظر وراءها ـ لقد كان هذا منظراً مرعباً. ثم اقبل الذباب. وزحف على عينيها. ولم يطر عنهما مهما طرفتا، لانه لايستطيع الطيران فقد قلعت اجنحته وجعلته حشرات زاحفة. هذا في الحقيقة عذاب يضاف الى جوعها العضوض. وبدت اخيراً خاوية كل الخواء. وقالت: لن استطيع احتمال ذلك اذا استمر الامر هكذا طويلاً ولكن الامر استمر وكان عليها احتماله.

ثم سقطت دمعة لاذعة على جبينها. وسالت على وجهها وصدرها حتى بلغت الرغيف. ثم سقطت اخرى واخرى، حتى صار وابلاً.
من كان يبكي الصغيرة انكر؟ اليس لها ام؟ دموع الحزن التي تذرفها

الام على طفلهـا تصـل اليـه دائمـاً، غيـر انها لاتجلب له الشفاء، بل تحرق وتجعل العذاب اشد خمسين مرة. ثم عاد اليها الجوع الفظيع، ولم تكن قادرة على الـوصـول الى الخبـز الذي تحت قدميها. وشعرت في النهاية كأنها تتغذى على نفسها، وانها اصبحت مجرد قصبة جوفاء تردد كل صوت. وسمعت كل ما يقال عنها على الارض بوضوح، ولم تسمع غير الكلمات القاسية.

لاريب ان امها بكت بكاء مراً وحزيناً وهي تقول في الوقت نفسه: «يأتي التكبـر قبـل السقـوط. وهنا تتجلى مصيبتك يا انكر. ما اشد ما احزنت امـك!» كانت امهـا وكـل النـاس على الارض يعرفون خطيئتها: كيف داست الـرغيف وغـاصت تحت الارض وضـاعت. لقد اخبرهم راعي البقـر بكـل شيء فقـد رأى ذلـك بنفســه من فوق رابيـة حيث كان واقفاً وقالت المرأة المسكينة: ما اشد ما احزنت امك ياانكر! كنت اردد ذلك دوما.

ثم فكرت انكر: الا ليتني لم اولد! اذن لكنت في افضل حال. ولم تعد دموع امي تجدي الآن نفعاً.

وسمعت النـاس الطيبين الـذين اشتغلت لديهم وكأنهم اهلهـا يقـولون عنهـا: كانت طفلة آثمـة. لم تقـدر نعمـة الله اليهـا وانما داستها تحت قدمها ستجد الامر عسيراً في فتح باب الرحمة.

وفكـرت انكـر! كان عليهم ان يحسنـوا تربيتي، ويـزيلوا الحمـاقـة في سلوكي ان وجدت.

وتنـاهى الى سمعهـا ان النـاس الفوا اغنية عنها صارت تغنى في جميع انحـاء البـلاد: البنت المتعجـرفـة التي داست رغيف الخبـز لتحفـظ حذاءها نظيفاً.

وعادت انكر الى التفكير: ساسمع تلك الحكاية كثيراً وعلي ان اقاسي من اجل ذلك كثيراً.

ثم قالت: وينبغي ان يعاقب الأخرون على آثامهم ايضاً هناك كثيرون مستحقون العقاب آه ما اشد عذابي!

غدا قلبها اشد صلابة من ظاهرها. وقالت في نفسها: لن يتحسن مرء في صحبة مثل هؤلاء، وانا لن اتحسن ابداً. انظر اليهم كيف يحدقون بي!.

واترع قلبها غضباً وحقداً على الجميع.

وقالت: لديهم الآن ما يتحدثون به في الاعلى آه، لهذا العذاب!.

وسمعت الناس يسردون حكايتها الى الاطفال وصار الصغار يطلقون عليها: «انكر الشريرة ـ كانت سيئة السلوك، فصار عليها ان تتعذب».

ولم تسمع غير الكلمات القاسية من افواه الاطفال.

غير انها ذات يوم، عندما كان الغضب والجوع يأكلان في بدنها الاجوف، سمعت اسمها يذكر وقصتها تروى الى طفلة صغيرة بريئة فانفجرت الصغيرة بالدموع على حكاية انكر المتكبرة المختالة زهواً

وسألت الطفلة: ألن تعود الى هنا مرة اخرى؟

فكان الجواب: كلا لن تعود الى الاعلى ابداً.

فعادت تسأل: وماذا لو انها طلبت الغفران وعاهدت ان لاتفعل ذلك ابداً؟

فقالوا: لن تطلب الغفران.

فقالت البنت الصغيرة التي رفضت ان تهدأ: ولكنني اريدها ان تفعل ذلك. سأهب بيت دميتي اذا ما عادت الى الاعلى. انه شيء رهيب بالنسبة الى انكر المسكينة.

نزلت هذه الكلمات الى قلب انكر ويبدو انها نفعتها. فقد كانت اول مرة تسمع شخصاً يقول «انكر المسكينة» دون ان يضيف شيئاً من ذنوبها. كانت طفلة صغيرة بريئة تبكي وتبتهل من اجلها وجعلها ذلك تشعر بشيء غريب. تمنت لو بكت غير انها لم تستطع ان تذرف دمعة واحدة، وكان هذا عذاب جديد.

وكما مرت السنين في الاعلى مرت كذلك في الاسفل دونما تغيير وقل ماسمعت من اصوات آتية من الاعلى، وقل ماتحدثوا عنها بيد انها انتبهت الى تنهدة: «انكر، انكر، اي حزن جلبت لي، ولكنني كنت اعرف دوماً انك ستفعلين ذلك». كانت امها تحتضر. وكانت احياناً تسمع الناس الذين اشتغلت لديهم يذكرون اسمها، وكانت سيدتها تتفوه بارق الكلمات: هل ساراك مرة اخرى يا انكر؟ لايعرف المرء ابداً الى اين يتجه.

ولكن انكر كانت تعرف جيداً ان سيدتها الطيبة الرحيمة لاتستطيع ان تأتي الى مكانها.

ومرت فترة عصيبة اخرى. ثم سمعت انكر اسمها يلفظ مرة اخرى ورأت فوق رأسها ما يشبه نجمتين لامعتين. انهما في الحقيقة عينان رحيمتان تدنوان من الارض. وقد انقضت سنوات كثيرة منذ ان بكت البنت الصغيرة بكاء مراً على حكاية «انكر المسكينة» حتى غدت الطفلة عجوزاً استدعاها الاله اليه الآن في الساعة الاخيرة عندما تعود حياة الانسان كاملة اليه، تذكرت كيف بكت وهي طفلة صغيرة بكاء مراً على حكاية انكر، وكان اثر ذلك واضحاً لدى المرأة العجوز في ساعة موتها فهتفت بصوت جهير: لعلي يا الهي لم اخطأ، مثل انكر، نعماءك

المباركة عامدة. ولعل التكبر لم يترعرع في قلبي. وانك برحمتك لم تدعني اسقط! فلا تتخل عني الآن في ساعتي الاخيرة! وغمضت عينا العجوز، وتفتحت عينا روحها لتريا الاشياء الخفية، ولما كانت انكر حاضرة في افكارها الاخيرة، فانها رأت مدى العمق الذي غاصت فيه. فانهمرت دموعها لدى رؤيتها. ثم وقفت في ملكوت السماء، طفلة تبكي على انكر المسكينة، وتردد صدى بكائها وابتهالها في الصدفة الخاوية التي تحيط الروح السجينة المعذبة وغمرها هذا الحب المفاجيء من الاعلى. ملاك من الرحمن يبكي عليها! لماذا تلطف عليها بذلك؟ تذكرت النفس المعذبة كل عمل قامت به على الارض، واخيراً ذابت في دموعها بشكل لم تعهده انكر في نفسها.

امتلأت اسى على نفسها، لان باب الرحمة بدا انه لا يمكن ان يفتح لها. وتعبيراً عن الندم العميق اعترفت بذلك، فاشرق شعاع من نور في هاوية الهلاك. كانت قوة الشعاع اعظم من شعاع الشمس الذي يذيب رجل الثلج الذي يقيمه الاولاد في الحديقة واسرع مما تذوب ندفة ثلج على شفتي طفل دافئتين تلاشى تمثال انكر الحجري امامه.

وحلق طائر صغير بسرعة البرق وهو يخفق بجناحيه نحو العالم الاعلى، شديد الحذر، هياباً من كل شيء، خجلاً من نفسه، خائفاً ان يواجه عين اي كائن حي، فسعى على عجل باتخاذ شق في جدار له. وجثم فيه مرتعداً في كل اوصاله. لم يستطع ان يطلق نغمة لانه لا يملك صوتاً. جلس طويلاً قبل ان يستطيع ان يستطلع بهدوء كل العجائب المحيطة به. اجل انها عجائب حقاً! كان الهواء عذباً منعشاً، والقمر يشرق متالقاً، والاشجار والشجيرات تفوح بالشذا الطيب. ثم الراحة كلها. وكان ريشه نظيفاً انيقاً.

ما ابدع كلام الخليقة كلها عن الحب والجمال! وتمنى الطائر ان يغرد مبتهجاً بصوت عالٍ بكل ما يمور في صدره من افكار، غير انه لم يكن يمتلك القوة. ان يتغنى مرحاً كما يفعل الوقواق والبلبل في الصيف.
الله الذي يسمع ترتيلة الثناء الصامتة التي ترددها الدودة، كان عليماً بترنيمة الشكر هذه التي ترتعش في صدر الطائر كما تخفق الترانيم في افئدة القديسين قبل ان تكون كلمات ولحناً. نمت هذه الافكار والاناشيد الصامتة وكبرت اسابيع كثيرة. وكان لابد لها من منفذ، وقد يوجد ذلك في اول محاولة لعمل صالح.
جاء عيد الميلاد المقدس، فرفع الفلاحون عموداً قرب بئر وربطوا في اعلاه حزمة من الشوفان وجبة هنيئة للطيور الصغيرة في يوم الميلاد السعيد.
اشرقت الشمس وضاءة والقت اشعتها على حزمة الشوفان، فاحاطت الطيور المغردة بالعمود. ثم خرجت من الشق في الجدار سقسقة واهنة. لقد وجدت الافكار المتنامية للطائر صوتاً وكانت هذه السقسقة ترتيلة الثناء، اذ استيقظت فكرة العمل الصالح وخرج الطائر محلقاً من مخبئه وغدا هذا الطائر معروفاً في ملكوت السماء.
كان الشتاء قاسياً والماء منجمداً. ووجدت الطيور والحيوانات البرية صعوبة بالغة في ايجاد طعام لها. وحلق الطائر الصغير فوق الطرقات العامة وصار يجد حبة قمح هنا وهناك في مسارات مركبات الجليد.
وفي منازل طريق الرحلات كان يجد لقماً قليلة من خبز، لايأكل منها الاكسرة ويعطي البافي الى عصافير اخرى تتضور جوعاً وهو يستدعيها نحوه. ثم حلق نحو المدينة حيث راح يختلس النظرات. وكان لايأكل إلا كسرة واحدة من فتاتِ خبز نثرتها يد رؤوف ويعطي

الباقي للاخرين . .

وجمع الطائر في اثناء الشتاء فتات خبز كثيرة ثم وزعها وهي تعادل في وزنها رغيف الخبز الذي داسته انكر الصغيرة لكي تحفظ حذاءها نظيفاً. وعندما وجد آخر فتيتة واعطاها الى الطيور غدا جناحا الطائر الرماديان ابيضين وانتشرا عريضين واسعين. وقال الاطفال الذين رأوا الطائر الابيض! نورس يحلق فوق البحر. وراح يغوص في البحر حيناً ويحلق نحو الشمس المشرقة حيناً آخر. ثم صار يرسل وميضاً براقاً حتى غدا عسيراً رؤية ماحل به. وقيل انه حلق نحو الشمس.

ام البلسان



كان في قديم الـزمـان صبي صغير، اصابه البرد عندما خرج وتبللت قدمـاه . ولم يعـرف احـد كيف حدث ذلـك لان الجـو لم يكن ماطراً . فخلعت امه ملابسه ووضعته في فراشه، ثم جلبت ابريق الشاي لتصنع له كوبـا من شاي البلسـان ليبث الـدفء في اوصـاله . وجاء في الوقت نفسـه الشيـخ الـودود الـذي يعيش في الغـرفة العليا من البيت ولم يكن للشيـخ زوجـة ولا ولـد، ولكنـه كان يحب الاطفال كثيرا . ويعرف حكايات عن الجن وقصصاً تسر من يستمع اليه وهو يسردها .

فقـالت الام : والآن، اذا ماشـربت شايـك، لعلك ستسرد قصة في غضون ذلك.

فقال الشيخ : اجل، اذا استطعت ان اتذكر قصة جديدة لارويها لكم، ولكن كيف بلل الصغير، رجليه؟

فأجابت الام : هذا مالم نستطع ان نعرفه.

فطلب الولد الصغير اليه : الا تروِ لي قصة؟

فقال الشيخ : اجل، اذا استطعت ان تخبرني بالضبط ماعمق القناة التي الى جانب الشارع الصغير المؤدي الى مدرستك؟

فقال الصبي : حتى ركبتي اذا ماوقفت في اعمق مكان.

فقـال الشيـخ : من السهـل اذن ان نعرف كيف تتبلل ارجلنا. والآن لابد ان اروي لك القصة، ولكني لااعرف اي واحدة.

فقـال الصبي : ولكنـك تستطيـع ان تؤلف واحـدة. امي تقول انك تستطيع ان تحول كل ما تنظر اليه الى قصة، وكل شيء تلمسه.

فأجـابــه الشيــخ : ولكن ذلـك النـوع من الحكـايـات والقصص لاتستحق شيئـا، فالقصص الحقيقيـة هي التي تأتي بنفسهـا. فتطرق رأسي وتقول : هانحن اولاء!

فسأله الصبي : ألم تسمع الآن طرقة؟ ارجوك، احك لي حكاية!

فضحكت الام وهي تضـع اوراق البلسـان في ابريق الشاي وصبت عليها ماء مغلياً.

فقـال الشيـخ : نعم ساحكي لك اذا جاءت الحكاية بنفسها. ولكن الحكـايـات والقصص متعـاليـة مغـرورة. فهي لاتأتي الا متى شاءت وصاح فجأة : قف! ها هي ذي واحدة. انظر! هذه قصة في ابريق الشاي.

فرمق الصبي ابـريق الشـاي ورأى الغطـاء يرتفـع تدريجـاً. وتخرج

اغصـان طويلة منـه، وحتى من البلبـل، في جميع الاتجاهات، حتى كبرت وكبرت وغدت مثل شجرة واسعة، تغطيها ازهار بيض . وامتدت حتى بلغت السرير وفتحت الستائر آه، مااطيب شذا زهورها! ؛

وجلست في وسـط الشجـرة عجوز لطيفة. في ثوب غريب، اخضر اللون مثـل اوراق البـابونك، تزينه زهور بلسان كبيرة، وليس من اليسير معرفة ما اذا كانت الحاشية مصنوعة من قماش ام من زهور حقيقية.

فسأل الصبي: ما اسم تلك العجوز؟

فأجاب الشيخ: يدعوها بعضهم حورية الغابات ولكننا لانعرف هذا الاسم. ويـدعـوهـا النـاس في حي البحارة ام البلسان وعليك ان تنتبه اليها وتصغي وانت تنظر الى الشجرة الجميلة.

كانت شجـرة كبيـرة مزهرة مثل هذه الشجرة في ركن من اركان باحة بيت فقيـر. وجلس تحت هذه الشجـرة في عصـر يوم مشمس جميـل عجوزان بحار وزوجته . وكان لديهم احفاد وهما على وشك الاحتفال بعيدهما الذهبي، عيد زواجهما الخمسين، كما تعلمون؛ وقد جلست ام البابونك في الشجرة وبدا السرور على محياها كما يبدو الآن.

وقالت: «انا اعرف موعد العيد الذهبي.» ولكن لـم يعرها احد اذنا صاغية، فقد كانوا يستذكرون الايام الخوالي.

فقـال البحـار العجـوز: اتذكرين حينما كنا صغارا واعتدنا ان نهرب ونلعب في البـاحـة التي نجلس فيهـا الآن، وكيف زرعنا اقلاما صغيرة في احدى الزوايا وصارت لنا بستان؟

فقالت العجوز: اجل، اذكر ذلك جيداً، وكيف سقينا الاقلام وكان احـد الاقـلام من البلسـان نبتت له جذور واخـرج فروعـا خضـرا حتى غدت شجرة عظيمة، نجلس تحتها الآن.

ثم اضـاف الـرجل: وتأكيداً لذلك، اقول: في تلك الزاوية بركة ماء

اعتدت ان اسير فيها سفينتي التي صنعتها بنفسي . وكانت تبحر جيداً ولكنني منذ ذلك الحين تعلمت نوعاً مختلفاً من الابحار.

فأجابت العجوز: نعم، ولكننا التحقنا بالمدرسة قبل ذلك . ثم شببنا عن الطوق وفرحنا كثيراً . وخرجنا عصر يوم ، يداً بيد، الى البرج المستدير، والقينا نظرة شاملة فوق كوبنهاگن وعبر البحر، ثم ذهبنا الى فردريكسبورك حيث كان الملك والملكة في النهر على سفينتهما الجميلة .

فقال البحار العجوز: ولكنني كنت مضطراً ان ابحر في رحلة مختلفة تمام الاختلاف الى مكان آخر بعيداً عن الوطن سنين كثيرة في رحلة طويلة .

فقالت : اجل ، وقد اعتدت ان ابكي عليك فقد خيل الي انك اصبحت في عداد الاموات ، غريقاً في قعر البحر والامواج تتلاطم فوقك . وكثيراً مانهضت ليلاً لارى هل حول ديك الرياح اتجاهه ، فرأيته مراراً يحول اتجاهه ولكنك لم تعد . مازلت، اتذكر جيداً احد الايام عندما كان المطر ينهمر مدراراً . وجاء الزبال الى البيت ليأخذ القمامة وكنت مشغولة ، فنزلت اليه بسلة القمامة ووقفت لحظة في الباب وكان الجو رهيبا . وبينما انا واقفة في الباب اقبل ساعي البريد يجلب لي رسالة منك .

وقد طافت تلك الرسالة في ارجاء كثيرة! فتحتها وقرأتها . ضحكت وبكيت في وقت واحد . كنت مغتبطة غاية الغبطة . قلت انك كنت في البلدان الدافئة حيث تنمو القهوة، وقلت انها بلد بديع ووصفت فيها اشياء اخرى رائعة . ووقفت قرب سلة القمامة والمطر ينهمر، عندما جاء شخص فجأة وطوق خصري .

فقال الشيخ : اجل، ولكمتني لكمة على اذني جعلتها ترن .

فردت عليــه قائـلة : لم اكن ادري انــه انت، ولكنــك وصلت مع الرسالة، وكنت وسيما . ومازلت كذلك حتى الآن . وكنت تضع منديلا كبيـرأمن الحـريـر الاصفـر في جيبـك ، وقبعة لامعة على راسك كنت رائعا، على الرغم من الجو المكفهر.

ثم سألها : وهل تذكرين عندما تزوجنا، وعندما جاءنا الولد الاول ثم ماري ونيلز وبيتر وهانس كرستيان؟

فأجابت : اجل اذكر ذلك . وقد غدا الجميع رجالا ونساء محترمين يحيهم الناس جميعا .

واردف الشيـخ قائـلاً : وصـار الآن لاطفالهم اطفال احفادنا الاقوياء والاصحاء ايضا .

ثم سألها . الم يكن زواجنا في مثل هذا الوقت من السنة؟

فأجابت أم البلسان : اجل، واليوم هو العيد الذهبي للزواج .

ومـدت راسهـا بين العجوزين وظنا انها احدى الجارات تكلمها . ثم نظـر احـدهمـا الى الآخـر وشبكـا يديهمـا . ومالبث اولادهما ان جاءوا والاحفـاد ايضـا الـذين يعـرفـون انـه عيـد زواجهما الذهبي وقد تمنى الجميع لهما كل السعادة في صباح ذلك اليوم، غير ان العجوزين نسيا ذلك، على الرغم من انهما تذكرا جيداً كل ما حدث قبل سنين كثيرة . وتضـوعت شجـرة البلسـان بالعطـر الطيب، وارسلت شمس الغـروب نورهـا على العجـوزين حتى بدا وجهـاهمـا كالعقيق الاحمر. ورقص اصغـر احفـادهمـا حولهمـا مرحا وقال انهما سيأدبون مأدبة في المساء وتقدم فيها بطاطة ساخنة .

ثم اومأت ام البلسان على الشجرة وهتفت «مرحى» مع الهاتفين .

فقال الولد الصغير الذي كان يستمع : ولكن هذه ليست قصة .

فقال الشيخ : ابداً حتى تفهمها . ولكن لنسأل ام البلسان لتشرحها .

فقالت ام البلسان : لم تكن قصة بالمعنى الدقيق . ولكن القصة آتية في الحال . وهي قصة حقيقية . فمن الحقيقة تخرج اروع القصص ، كما خرجت شجرتي البلسان الجميلة من ابريق الشاي .

ثم تناولت الولد الصغير من الفراش ووضعته على صدرها ، فاطبقت اغصان البلسان المزهر عليهما ، فجلسا في عريش مورق . وطار بهما العريش في الجو في شكل بهيج غاية البهجة .

وتحولت ام البلسان في الحال الى غادة حسناء . وكان ثوبها مايزال من قماش اخضر ، تزينه حاشية من زهور البلسان البيض ، كالذي كانت تلبسه ام البلسان . ووضعت على صدرها زهرة بلسان ، وشبكت على شعرها الذهبي اكليلا من الزهور نفسها . وكانت عيناها الزرقاوان رائعتين . وكانت البنت بعمر الصبي . وقبل احدهما الاخر فشعرا بالسعادة الغامرة . وغادرا الشجرة يدا بيد ، والقيا نفسيهما في حديقة زهور جميلة من حدائق الوطن . وقد ربطت عصا ابيهما في العشب الاخضر . وقد سرت الحياة في تلك العصا ، فما كادا يلقيان نفسيهما عليها حتى تحول رأس العصا الابيض الى رأس جميل بصهل وعلى الرقبة عرف اسود منسدل ، وصار لها اربع قوائم رشيقة . وكان هذا المخلوق قويا نشيطا ، راح يخب بهما خبباً حول ساحة العشب .

فقال الولد : مرحى لنا ! سنركب ونمضي اميالا حتى نصل ارض النبيل التي ذهبنا اليها في السنة الماضية .

ودار الاثنان حول العشب مرة اخرى ، وظلت الفتاة التي كانت ام البلسان ، تصيح : ها نحن وصلنا الريف : أترى البيت الريفي الذي ينتأ فرنه من الجدار الخارجي كأن بيضة جبارة ؟ وهناك شجرة بلسان تمد اغصانها فوقها ، وديك يتمشى وينبش الارض للدجاجات . اترى كيف يتبختر ؟ وها نحن قد وصلنا التل الذي تظلله اشجار السنديان الوارفة ، ونصف احدها قد مات ، ثم هذا هو دكان الحداد والنار تشتعل

في الكيـر. والـرجـال شبـه المصفحين يطـرقـون الحـديـد السـاخن بالمطارق فيتطاير الشرار. والآن هيا الى ضيعة النبيل!

ورأى الصبي كل ماذكرت البنت الصغيرة التي خلفه وهو يمر امامه مع انهما كان يعدوان خبباً حول ساحة العشب.

ثم طفقـا يلعبـان على ممشى جانبي . وقلبـا التـربة ليصنعا حديقة صغيـرة. واخـرجت من شعـرهـا زهور بلسان وزرعتها فنمت مثل التي تحدث عنها العجوزان وزرعاها في ايام الصبا. وتجولاً يدا بيد، مثلما فعل العجوزان عندما كانا طفلين، غير انهما لم يصعدا البرج المستدير ولم يذهبـا الى حديقـة فردريكسبوك، بل احاطت الصبية خصر الصبي وطـافـا على الحصـان في البلد كله، فجـاء الربيع وتلاه الخريف، ثم اقبـل الشتـاء ، وطـافت آلاف الصـور في عيني الصبي وقلبه. والصبية ترفع صوتها بالغناء: لاتنس هذا كله!

وارسلت شجـرة البلسـان اطيب شذاهـا وهمـا يطوفان في الحقل . ومـرا بورود واشجـار زان غضـة ناضـرة ، غيـر ان عطر البلسان فاق كل العطور، فقد احاطت زهورها قلب الفتاة الذي كثيرا ما القي راسه عليه وهما راكبان.

فقالت الغادة الحسناء وهما يتوقفان في ايكة زان وارفة الظلال وعند اقـدامهـا زعتـر فواح وشقـائق حمـر تنتشر بين العشب الاخضر: هكذا الربيع دائما في غياض الزان العطر.

فقالت الفتاة: هذا المكان مبعث سرور في الصيف.

ومـر الاثنـان بقـلاع الفـرسـان العتيقـة التي تنم عن الازمنة الغابرة وشـاهـدا الجدران الشاهقة والابراج المدببة المنعكسة في الانهار التي تحتها حيث يسبح البجع وتحدق في الشوارع الخضر المشجرة وتموج القمح في الحقول كأنه البحر. ونبتت زهور حمر وصفر بين الخرائب،

وغطيت الاسيجة النباتية بالجنجل البري واللبلاب المزهر. وطلع البدر عند المساء وملأت البيادر في المروج الجو بعطرها الفواح . هي مشاهد لاتنسى .

فقالت الفتاة الصغيرة : والمنظر جميل هنا حتى في الخريف : فتغير المشهد .

وبدت السماء اعلى وزرقتها اجمل ، وتألقت الغابة باللون الاحمر والاخضر والذهبي . وانطلقت كلاب الصيد في طرادها وفزعت اسراب كثيرة من الطيور البرية وهي تطير صارخة فوق القبور ، حيث تشابكت شجيرات العليق حول الخرائب العتيقة . ورقطت الاشرعة البيض وجه البحر القاتم الزرقة ، وجلست في مخازن الحبوب عجائز وصبايا واطفال يلقطون الحبوب وينظفونها . وغنت الشابات وروت العجائز حكايات عن السحرة والساحرات . تلك اشياء بهيجة ليس في الدنيا اكثر بهجة منها .

وقالت الفتاة : «وفي الشتاء جميلة ايضا في هذه الربوع . » فاكتست الاشجار جميعا في لحظة واحدة بالثلج فبدت كالمرجان الابيض وتهافت الثلج تحت الاقدام وطقطقت كمن يلبس حذاء جديدا ، وكأن الشهب تنقض من السماء واحدا في اثر آخر . اما في الحجرات الدافئة فنرى اشجار عيد الميلاد مرصعة بالزينة والهدايا وتنار في وسط الاحتفالات والمسرات وتسمع في البيوت الريفية انغام الكمان ، ولاتخلو من المباراة التي يفوز بها اللاعب بالتفاح . فيقول حتى اكثر الاطفال فقرا : ان الشتاء جميل .

كانت المناظر التي عرضتها الفتاة على الصبي جميلة حقاً . وطاف حولهما اريج زهر البلسان ، وخفف فوقها العلم الذي طاف الدنيا كلها بحاراً في البلدان الدافئة حيث تنمو القهوة ، واعطته الصبية زهرة بلسان من صدرها للذكرى ، فوضعها في كتاب ادعيته . وعندما يفتحه في

بلدان اجنبيـة ، يتـذكـر دائمـا المكـان الـذي قدمت اليـه هذه الـزهرة للذكرى ، وكلما اطال النظر اليها، بدت اكثر نضارة. وبوسعه ان يشم عطـر غابـات الـوطن، ويرى الصبية ترمقه بعينين صافيتين زرقاوين من بين وريقـات تلك الـزهـرة ويسمـع همستها : «بلادنا جميلة في الربيع والصيف والخريف والشتاء. وتمر في خاطره مئات من مشاهد البلاد.

ومضت سنـوات كثيـرة، فصـار الآن شيخـاً جالسا مع زوجته شجرة بلسان مزهرة، وقد مسك احدهما يد الآخر كما فعل الجد والجدة في الماضي وتحدثا كما تحدث العجوزان عن الايام الخوالي وعن ذكرى العرس الذهبية. جلست الفتاة الصغيرة ذات العينين الزرقاوين وزهور البلسان في شعرها، جلست في الشجرة واومأت اليهما وقالت: «اليوم ذكـرى العيـد الذهبي للزواج». ثم تناولت زهرتين من اكليلها وقبلتهما فأشرقت كالفضة اولاً ثم كالذهب بعد ذلك. وعندما وضعتها على رأسي العجـوزين، اصبحت كل زهـرة تاجـا ذهبيـا. فجلسا مثل ملك وملكـة تحت الشجـرة الفـواحـة بالعطر، التي ماتزال تشبه شجرة بلسـان. ثم اعـاد على مسمـع زوجـه العجـوز قصة «ام البلسان» كما سمعهـا عنـدما كان صغيرا. وتخيلها الاثنان كأنها قصتهما، وخصوصاً في بعض اجزائها التي احباها كثيراً.

فقـالت الفتـاة الصغيـرة: اجل وهي كذلك، فبعضهم يدعونني «ام البلســان»، وآخــرون «حــوريــة الغـابـات» ولكن اسمي الحقيقي «الذكرى» انا التي اجلس في الشجرة وهي تنمو وتنمو وبوسعي ان افكر في الماضي واروي اشياء كثيرة. أفمازالت تحتفظ بالزهرة؟

ثم فتـح الشيـخ كتـابـه وكـانت زهـرة البلسان ماتزال نضرة فيه كأنها وضعت قبـل قليـل. فاومأت «الـذكـرى» برأسها وكان العجوزان وعلى رأسيهمـا تاجـان من ذهب جالسين في وهـج شمس الاصيل وقد اغلق

كل منهما عينيه و انتهت القصة .

واستلقى الصغير في فراشه ولم يكن يدري أكان يحلم ام يستمع الى قصة وكان ابريق الشاي على المنضدة . ولكن لم تخرج منه شجرة بلسان ، اما الشيخ الذي روى القصة فعلا فقد كان واقفا لدى العتبة وعلى وشك ان يخرج من الباب .

فقال الصغير: ماابدع ذلك ياامي ! لقد ذهبت الى بلدان دافئة .

فقالت امه بوسعي ان اصدق ذلك . فعندما يشرب المرء كوبين من شاي زهر البلسان ، يمكن ان يصل البلدان الدافئة !

ثم دثرته لئلا يستبرد . واضافت : لقد نمت جيدا عندما تناقشت مع الشيخ بخصوص كونها قصة حقيقية ام اسطورة خرافية .

فسأل الصبي : واين «ام البلسان»؟

فاجابت الام : هي في ابريق الشاي ، ولعلها ستبقى فيه .

هانس كريستيان اندرسن

- الجزء الاول -

المقدمة

الحكاية

- ملابس الامبراطور الجديدة
- ما يفعل الشيخ صحيح دائماً
- الوردة والعصافير
- مصباح الشارع القديم
- غصن التفاح المغرور
- حورية البحر الصغيرة
- كلاوز الكبير وكلاوز الصغير
- البلبل
- عنق الزجاجة
- الجندي المعدني الراسخ
- المقدحة

هانس كريستيان اندرسن

- الجزء الثاني -

- ★ بائعة علب الكبريت
- ★ راعي الخنازير
- ★ الراعية والناس
- ★ هانس الاخرق
- ★ الصندوق الطائر
- ★ البجعات البرية
- ★ هولكر الدنماركي
- ★ الجرس
- ★ ابنة مدن المستنقعات

هانس كريستيان اندرسن

- الجزء الثالث -

* جنة الفردوس
* ملكة الثلج (حكاية في سبع قصص)
* اللصة الصغيرة
* شجرة التنوب
* زهور ابدا الصغيرة
* اللقالق
* الحذاء الاحمر
* البطيطة القبيحة
* الفتاة التي داست رغيف الخبز
* ام السلبسان

وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
سلسلة مكتبتنا

فريق التوثيق
الألكتروني

رقم الايداع «٥٣٤» دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة ١٩٩١

السعر: ٢٥٠ر١ دينار

دار الحرية للطباعة
بغداد